كتب للجميع

جرائم ومرافعات

بقلم
يوسف حلمي المحامي

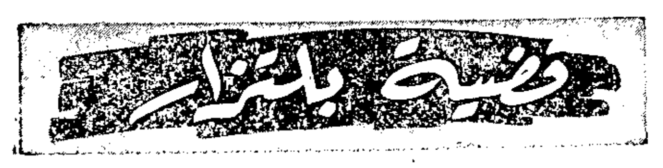


٢٥ شارع توفيق بالقاهرة

طبع بمطابع « جريدة المصرى »



بقلم يوسف الشربينى



تعتبر هذه القضية ـ فى القضاء الجنائى ـ أهم قضية بعد قضية « دريفوس » المشهورة . فقد أثارت اهتمام العالم كله ـ وأوفدت الصحف من جميع الدول مندوبين عنها فى جلسات المحاكمة التى تتابعت شهرا كاملا ، وترافع فيها أشهر وزراء بلجيكا وأفقه رجال القانون فيها ، وكان الناس يتزاحمون منذ الفجر لاحتلال المقاعد الامامية ، ومع كل منهم زاد اليوم كله ، ليأكلوا ويشربوا فى أماكنهم حيث يظلون الى آخر النهار . ولم يكن الدخول مباحا الى قاعة الجلسة الا لحاملى بطاقات خاصة ، وبعض الذين توصلوا للحصول على بطاقة كان يبتاعها من السوق السوداء ، واشتد الاقبال على شرائها حتى زادت أثمانها على أثمان أغلى المقاعد فى أعظم روايات الاوبرا . .

أخذت هذه القضية اهميتها من الغموض المظلم الذى أحاط بالمأساة ، ومن الدهاء العجيب الذى تجلى فى الرأس القوى الذى دبر الجريمة تحضيرا وتنفيذا واحتياطا لجميع الظروف ، ثم من الدافع الغرامى الذى قيل انه أدى الى ارتكاب الجريمة ، وأيضا من أهمية أبطالها فى المجتمع سواء فى ذلك المجنى عليه أو المتهمون أو الشهود ، وأخيرا من الظروف الغريبة التى أدت الى اكتشافها .

أكثر من هذا . لقد ظلت أصداء هذه القضية تتجاوب فى أنحاء بلجيكا بعد انتهاء المحاكمة بعدة سنين فألفت فى موضوعها رواية تمثيلية (هزلية) نالت نجاحا كبيرا فى احد المسارح ، وكانت نشرات مختلفة تلصق على الجدران تطلب اعادة المحاكمة لان الحكم مخطىء

واخـــــرج ســـــيزار لمبروزو الايطالى المشهور المتخصص فى علم الاجرام دراسة عن شخصيتى المتهمين .

وكان بـول بورجيـه المؤلف الفرنسى المشهور يصـعد فى تلك الايام اولى درجات مجده ، فأخذ من موضوع هـذه القضية فكرة قصــته المشــهورة « انـدريه كورنيليس »

* * *

ويحسن بنا أن نلخص موضوع هذه القضية فى سطرين قبل سرد تفاصيلها ليسهل عـلى القارىء متابعتها ، فموضوعها من وجهة نظر النيابة أن (ليون بلتراز) قتل (جيوم برناى) المحامى الشاب بتحريض شقيقه ارمـان بلتزار الذى كان يذوب غراما فى زوجة المحامى « جوليابيشيه » ليتخلص منه ويفوز بها .

هذا هو الموضوع فى كلمات . واليك التفاصيل :—

فى أحد أيام سنة ١٨٧٢ شهدت مدينـة انتورب ببلجيكا عرســا كبيرا كانت عروســه الحســناء الآنسة جوليابيشيه ابنة تاجــر ثرى ورئيس حــزب الاحرار . وكان الزوج هو الاستاذ جيــوم برناى المحامى الشاب ذو المستقبل اللامع الذى كان مساعدا ثم شريكا فى مكتب الاستاذ فيكتور اوجيه نقيب المحامين .

كانت العروس فتاة ثريه ذات مكانة محترمة ، اشتهرت بجمالها وسمو اخلاقها واستقلال روحها واشتعال قلبهـا بحب الانسانية والمثل العليا .

وكان فى المدينة اخــوان همانيون وجيمس بلتزار ، يديران عمــلا لتصــدير البضائع ، كانا سعيدين بهذا الزواج لانهما كانا سبب التعارف الاول بين العروسين

لم يلبث العروسان بعد انقضاء شــــهر العسل ان دب بينهما النفور لاختلافهما فى طباعهما ومزاجيهما ونظراتهمــــا الى الحيـــــاة . فقـــد كان الزوج وصوليا نفعيا لا يأبه بما يسمى بالمثـــل الاعلى . وكان يرى أن غاية كل انسان من الحياة هى المال والسطوة وان الوسيلة للحصول على هذه الغــــاية ان

تتحرى منفعتك الخاصـــة قبل أى شىء اخـــر ، بينمـــا كانت الزوجة كما قدمنا فتاة تزدحم فى رأسها المثل العليا وتشتعل روحها بحب الانسانية .

وبعد فترة قصـــيرة وضعت الزوجة طفلا فى ولادة عسيرة ، ثم اعلنت زوجها انها لن تستطيع ان تعاشره بعد ذلك الا كأخت له ، وأولت الطفل كل اهتمامها .

فى ذلك الوقت فوجئت الدوائر التجارية والمالية فى مدينة انتورب بتوقف الاخـــوين ليون جيمس بلتزار عن الدفع ، ثم اعلانهما الافـــلاس ، ثم اتهـــــامهما بالتفـالس . وكان من الطبيعى أن يسرع صديقهما جيوم برناى المحـــامى للوقوف الى جانبهما يعاونه محاميان آخران . ولكن لم يكن فى وسع المحامين الثلاثة أن يفعلوا شـــيئا ، وكان مركز الاخوين ســـــيئا حين برز على المسرح فجـــأة أكبر اخوة بلتزار وهو « ارمان بلتزار » الـــذى هو بطل هذه القضية الاول .

كان ارمان بلتزار مهندســـا لا يحمل شهادات ، ورجل أعمال مليئا بالذكاء والنشاط ويجيد عدة لغات ، ماتت زوجته قبل ذلك بثلاث سنوات وتركت له طفلة هاجر بها الى امريكا حيث اســـتقر فيهـــــا هذه السنوات وافتتح مع أخ رابع هو روبـــير بلتزار محلا للتصـــدير ، وكان عملهما يسير سيرا حسنا حينما فوجئا بخبر افلاس شقيقتهما فى انتورب واتهامهما بالتفالس .

أسرع ارمان بلتزار فصـــفى أعماله وحمل معه حوالى ثلاثمائة الف فرنك ، وابحر الى بلجيكا ووصل انتورب فى الوقت المناسب لينقذ اخويه من السجن واسم اسرته من العار .. وحالما وصل اتصل بالاســـتاذ برناى وتمكن من انقـــاذ اخويه مضـــحيا بكل شىء يملـــكه ، الامر الذى اثقل كاهل اخويه — وخاصة ليون — بالمعـــروف فحفظا له هـــــذا الصنيع . .

وافترق الاخوان المفلسان . ورحل ليون الى انجلترا حيث اشـــتغل فى تجارة غير شريفـــة اضطر الى الارتحال بعدها الى

امريكا . أما جيمس فقد بقي في انتورب واشـــتغل في عمل تجـــارى متواضـــع ولـكنه مستقيم . وعاش مع اخيـــه الاكبر وامهما التى باركت أرمان .

واشتهرت فداحة التضحية التى قـــدمها ارمان لاخويه ، فعاش فى انتورب محوطا بأكبر قدر من الاجلال وكان المحامى برناى رجلا قليل الاصـــدقاء ، فتقرب ارمان اليه واولاه ثقته وكان يستشـــيره فى كل شيء ، ويتباحث واياه فى اعمال ادبية كان يقوم بها . و ستركا معا ، كتفا الى كتف ، فى الجمعيـــات المـــاسونية — وكان ارمان من المفكرين الاحرار ، وفى هـــذه الجمعيات برز ارمان فى المناظرات الفلسفية كخطيب من الدرجـــة الاولى ، واثار فى نفوس اصدقائه اعمق عواطف الاعجاب بنفاسة آرائه ، ووجد فيه برناى صديقا امينا اولاه كل ثقتـــه . وكان من الطبيعى أن يدعوه الى بيته حيث يقابـــل من الزوجـــين بالترحاب ، وحيث كان يقضى وقتا طويلا .

كانت اناقتـــه فى ملبســـه ، وغشاوة الكآبة التى تغطى عينيه ، وتأبطه بالسمعة العريضة التى اكتسبها من تضحيته لاخويه .. كل ذلك مضافا اليه صغيرته الجميلة اليتيمة الام ، كان مما اثار شعور العطف عليه فى قلب الزوجة الحســـناء المليئة بحب التضحية من اجل الغير والاحسان الى الضعفاء .

جعلت تحاول أن تمـــلا على (ماريت) الصغيرة مكانة امها التى لم يكن ارمان يكف عـــن التوجع عليها ، كما أن أرمـــان جعل يحاول أن يعاونهـــا على تنشئة طفلها على مبادىء البطولة والفضل التى كانت تتحمس لها

ولم يمض وقت قصـــير حتى نشأت بين الزوجة الصغيرة الفاضلة وبين الرجل النبيل الذى ضحى بكل ما يملك من اجل اخويه ، صداقه حلوة قويه ...

هذه الصداقة لم تقلق بال الزوج ، ولم يتوجس منها شرا ، فضلا عن ان صديق العائله هذا كان يفض كل خلاف ينشأ بين

الزوجين ، وكان يتلافى الزوابع قبل ثورتها بينهما ، وكم من مرة وصل الامر بينهما الى الكلام في الطلاق فكان تدخله مما يمنع وقوع الكارثة .

ولكن هذا لم يمنع تطاير الشائعات الحقيرة عن كلا الزوجين ، فقيل ان الزوج كان على اتصال غرامى باحدى الخادمات وان ارمان كان وسيط هذه العلاقة ...

وبدأ الخدم فى بيت المحامى يطلقون شائعات أخرى عن العلاقة التى تربط بين الزوجة وبين ارمان بلتزار ، وقالوا انها أكثر من الصداقه القوية ، والجو الذى هذا الاثم الجاجه جعلت الشائعات تتسع ويزيد انتشارها .

ووصلت هذه الاقاويل الى أسماع الزوج ، فلم يعبأ بها أول الامر لفرط ثقته فى وفاء صديقه وعفاف زوجته ، الى ان كان أحد الايام اذ قام نزاع كبير بين الزوجين وصل الامر فيه الى الكلام فى الطلاق ، وأخطر الخدم بأنهم سيحضرون للشهادة فى المحكمة - فى دعوى الطلاق - فقرروا الوقوف الى جانب الزوج . وأسرعت احدى الخادمات اليه وصبت فى أذنه سما نقيعا عما قالت انه علاقه آثمه بين الزوج وصديق الاسرة .

تركت هده القصه الخسيسه أثرها فى الزوج وقلبه ، وداخله الشك فى صديقه ، واستولى عليه غضب هائل ، وجاء ارمان كالعاده ليتناول العشاء مع الزوجين ويبذل آخر جهد للتوفيق بينهما ، ففاجأه الزوج بأنه لايريد بقاءه فى بيته تلك الليله ، وشيعه الى الخارج قائلا انه سيزوره فيما بعد ليتحدث اليه فيما حمله على هذا التصرف .

وفى الصباح المبكر من اليوم التالى ذهب اليه حاملا مسدسه ، فاستقبله ارمان فى هدوء واخذ منه المسدس ، وتكلم معه طويلا حتى عاد الى اقتناعه بطهارة زوجته وبراءة صديقه . وبعد يومين استؤنفت العلاقة بين الصديقين كما كانت ..

وفى يوم آخر سمعت الزوجة احدى مناقشة سفيهة بين

لخادمتين ، فأسرعت الى زوجهـــا تطلب اليه طرد احداهما ، وحاول هو أن يعدل بها عن ذلك ، ولكنها أصرت واستدعت الخادمة وطردتها

حزمت الخادمه أمتعتها ثم تسللت الى غرفة الـــزوج ، وبذلت كل ماعندها من دهاء لتقنـــع الزوج بأن سيدة الدار انما تطـــردها للتخلص منها لانها تعلم أكثر مما يجب ، ووعدته بأنها سوف ترسل اليه خطابات مفصلة عما تعـرفه بين زوجته وصديقه • وكأنمـــا كان قلب الزوج خصبا لتلـــقى بذور الشك ، فنفح الخادمه بعض المال وأوصاها بالكتابه اليه •

ومرة اخرى عندما جاء ارمان الى البيت طرده الزوج وقال له انه سيخبره فيما بعد بالاسباب وارسل اليه فى اليوم التالى خطابا يؤكد له فيه استغناءه عن صداقته حرصا على ســمعه زوجتــه ، وطلب اليـــه فيـــه ألا يرد على الخطاب والا يحاول منـــاقشته بشكل ما فى اى شىء يتصل بهذا الموضوع •

بعد ذلك تدخل صديق حميم للعائلة هو المسيو دولنجيه رئيس محـكمة الاســتئناف الذى كان مقتنعا تمام الاقتناع ببراءة الزوجة وعفتها وطهاره ذيلها ... تدخل هذا الصديق الكبير واســتطاع ان يمنع وقوع الطلاق ، واستكتب الزوج اقـرارا بانه ياســف اذ صدق الاتهامات التى وجهت الى زوجته على غير اساس •

وعند ما استقرت الامور على هذا ، حاول المسيو دولونجيـــه استكمالا لاسباب الصفاء ان يقنع الزوج بان يدعو ارمان ثانية الى استئناف علاقاته بالاسرة ، فتردد اولا ولكنه عاد فرفض واصر على الرفض •

لسنا فى حاجة الى كلام كثير عن موقف ارمان بلتزار ، فقـد تألم من اهانتين متتاليتين بطرده من منزل الزوجين • وهو وان كان قد نال الترضية الكافيه فى المرة الاولى باعتذار الزوج اليه ، فقد ظلت الاهانة الثانية تعمـل كالخنجر فى كرامته • ولما يئس من نتيجة تدخل المسيو دولونجيه كتب خطابا قوى اللهجة الى الزوج يطلب اليه فيه الاعتذار اليـه ، وقال انه لولا حرصه على كرامة

الزوجةالتي يمتلىء قلبهباحترامها والاعجاب بها لبحث عن وسيلة أخرى يقتص بها لكرامته .

ولكن هذا الخطاب أعيد اليه دون أن يفض وقد كتبت عليه كلمة « مرفوض »

هذه الاهانة الجديدة زادت طبعا من متاعبه النفسية فحمل أخويه جيمس وروبير (وكان هذا الاخير قد جاء أخيرا من أمريكا) حملهما على أن يذهبا معا الى برناى ويطلبا منه باسميهما تفسيرا لسلوكه نحو اخيهما .. صديقه القديم ، فلم يزد على أن قال لهما انه لم يقصد مطلقا اهانة صديقه القديم ولكنه فى الوقت نفسه أبى باصرار أن يرى وجهه ثانية .

بذل ارمان محاولة أخيرة لتصفية الموقف ، اذ تذكر أن برناى كان قد طلب اليه يوما أحد تقارير البرلمان الفرنسى ليستعين به فى بحث تاريخى ، فاستطاع ان يحصل على هذا التقرير وارسله اليه . ولكنه رفضه ..

نترك هذا الموقف الآن عند هذا الوضع بين الصديقين من جهة ، وبين الزوجين من جهة أخرى لنعود اليه بعد قليل ونتنقل الى أمريكا حيث يستوطن الاخ الاصغر ليون بلتزار .

* * *

بعد أن هاجر ليون الى أمريكا عاش هناك تحت اسم مستعار وجدد حياته وعمل بامانة واستقامة مستخدما فى محل تجارى كبير . وكانت عائلته قد تبرأت منه ماعدا امه ، وماعدا ارمان الذى كان يواليه بالمساعدات المالية وبالنصائح التى أثرت فيه تأثيرها فجدد شخصيته كرجل شريف مستقيم .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٨٨١ وصله خطاب ، استنتجت النيابة فيما بعد انه خطاب من اخيه ارمان ، يطلب اليه فيه القدوم الى اوروبا حيث كان قد دبر مقتل برناى مسخرا أخاه هذا فى ارتكاب الجريمه باسم الصنيع الذى طوق به عنقه اكثر من مرة

نترك للقارىء أن يحكم فيما بعد على مصدر هذا الخطاب ،

ونكتفى بأن نقول أن ليــون أعلن أصحاب العمل بأنه مســافر الى كندا ليؤدى واجبا مقدسا نحــو صديق عزيز .

فلنعد الآن الى انتورب .

***

لم يتبادل برناى وارماى كلمة واحدة . بل لم يتقابلا وجها لوجه مرة واحدة .

ومرت الاسابيع حتى كان أحد أيام شهر ديسمبر اذ وصل الى المحامى خطاب من هامبورج مكتوب باللغة الانجليزية وممهــور باسم (هنرى فوجان)

دهش المحامى لانه لايعرف هذا الاســم . ثم تــلا الخطاب فاذا بمرسله يقول ان بعض أصدقائه فى لندن أوصوه بأن يستفتيه فى بعض المسائل القانونية نظرا الى ســعة علمه القانونى فى مســائل التجارة ورجاه فى ان يجيب على قائمة الاســئلة المرفقة ، وأرفق بالخطاب شيكا بخمسمائة فرنك

رد المحامى على هذه الاسئلة برجوع البريد . وبعد أيام عاد (هنرى فوجان) فكتب اليه من جديد يسأله فتوى أخرى فى نفس الموضوع .

وبعد أيام أخــرى كتب اليــه يقول أنه سيمر بانتورب فى طريقه الى لندن ، ويأمل أن يراه ليباحثه شفويا . ولــكنه فى اليوم التالى كتب اليه يقول انه يعتذر من عدم الحضور نظرا الى مرض ابنه .

مر بعد ذلك اثنــا عشر يوما لم تصل الى المحامى خلالهما كلمة من فوجان

وفى يوم ٤ يناير سنة ١٨٨٢ كتب اليه يقول ان اعمالا كثيرة ومشاغل هــامة تمنعه من زيارة انتورب وبما ان المسألة مستعجلة وبما أن الشركــة الملاحيــة التى يسعى الى تأليفها قد تم جمع رأسمالها وهو ٥٠٫٠٠٠ جنيــه فهو يرجو الاستاذ برناى فى ان يوافيه فى بروكسل سريعا حيث قد استأجــر منزلا رقــم ١٥٩ بشارع لالوا القريب من المحطة

ليس من آداب المحاماه ان يسعى المحامى الى موكله خصوصا اذا لم يكن له به سابق معرفة ، ولكن هنرى فوجان ابدى من الاسباب ما جعل جيوم برناى ينبهه بانه سيلبى دعوته يوم الاحد ٧ يناير ، وسيسافر الى بروكسل حيث يوافيه فى المنزل رقم ١٥٩ شارع لالوا .

سافر المحامى فى هذا اليوم بعد ان وصل ابنه الى المدرسة — ولم يعد بعد ذلك ابدا ....

احد عشر يوما مرت بعد يوم ٧ يناير ولا يعلم احد بمصيره الاليم الا قاتله او قتلته

* * *

فى آخر نهار اليوم الذى اختفى فيه جيوم برناى قلقت زوجته ، وظنت فى اول الامر انه ربما يكون قد عرج على اهله فى بروكسل لزيارتهم ، فأمرت الخدم بعدم اقفال الباب الخارجى اثناء الليل .

وفى الساعة الثانية صباحا ايقظت الخدم وسألتهم عن سيدهم فأنبأوها بأنه لم يحضر بعد .

وفى الصباح لم يكن قد حضر ، فطلبت الى طفلهما ان يبعث ببرقية الى جديه ، يسألهما عما اذا كان ابوه قد زارهما امس فجاء الرد بالسلب .

زاد قلق الزوجة فاستشارت والديها وبعض الاصدقاء ومنهم محامون من زملاء زوجها ، واستشارت كذلك أرمان نفسه

افترضوا جميع الحالات .. افترضوا فقدان الذاكرة ، او حادثا فجائيا .. وافترضوا ايضا انه ربما يكون قد فر مع احدى النساء ... ولكن لم تظهر علامة واحدة تؤيد هذه الافتراضات وفضلوا ان ينتظروا اربعا وعشرين ساعة اخرى قبل ان يخطروا البوليس .

ولو انهم فتشوا بعناية ادراج مكتبه لعثروا على مراسلات وبرقيات الزبون المجهول هنرى فوجان ، ولعرفوا منها كيف

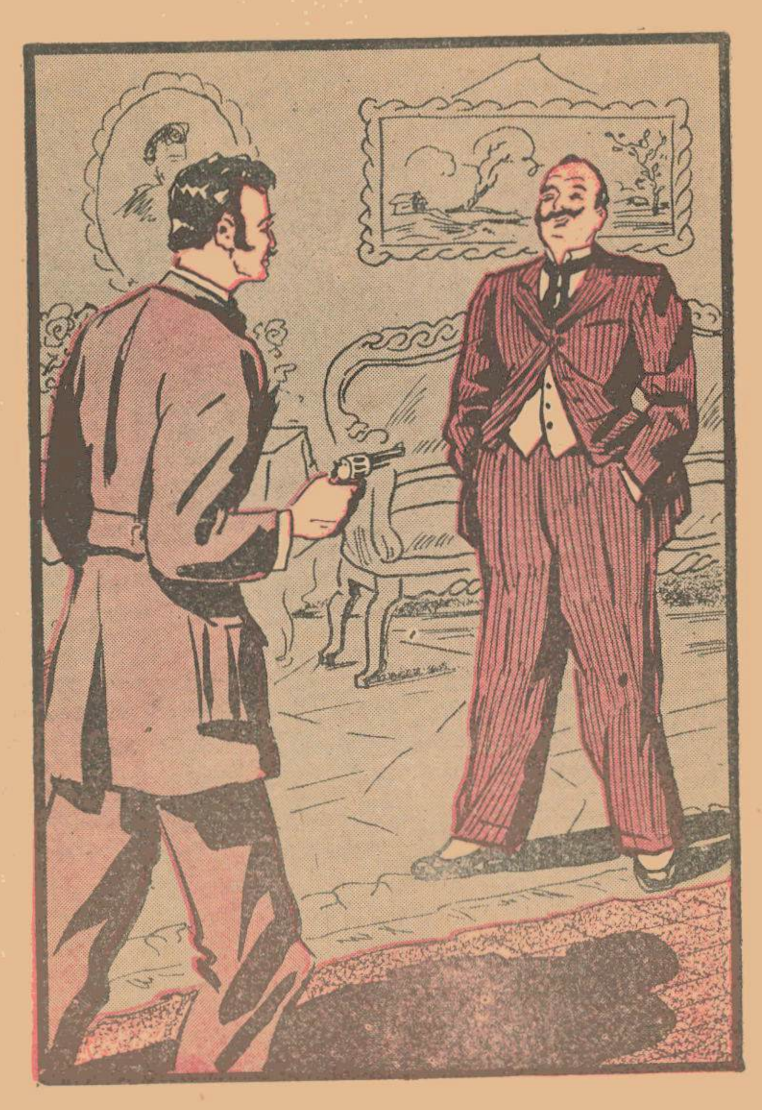
يقتفون اثره حيث الموعد الرهيب فى المنزل رقم ١٥٩ شارع لالوا ... ولكن عجلة الساعة التى كانوا فيها جعلتهم لا يلتفتون الى هذه المراسلات الا فيما بعد حيث بدرت البادرة التى اضاءت الطريق .

اخطر النائب العمومى ورئيس البوليس يوم ١١ يناير . وبدأت تحريات واسعة النطاق، وظهرت فى الصحف نشرات بأوصاف جيوم برناى المحامى ونبأ اختفائه

وفى هذه اللحظة ، بدأ بعض الخدم الذين كانوا يعملون فيما مضى عند المحامى ، كما بدأ وكيل مكتبه يتشككون فى انه ربما يكون قد ذهب ضحية لمؤامرة تتصل بشكل ما باختلافه مع ارمان بلتزار .

ولكن تصرفات آرمان قبل وبعد الاختفاء كانت بحيث جعلت الشكوك تتبدد ، فانه لم تبدر منه بادرة تدل على ارتباك ما . او على انه يعانى تفكيرا داخليا غير عادى . وفى ٥ يناير اى قبل الاختفاء بيومين كان قد القى محاضرة قيمة فى جمعية المهندسين فى انتورب عن معرض باريس الكهربائى ادهش بقدرته وتمكنه اقدر الاختصاصيين من الذين سمعوه ، وعند ما علم بنبأ اختفاء برناى بدا عليه كأنه تأثر للنبأ تأثرا عميقا ، وصرح بانه على استعداد لان ينسى ويصفح عن كل ما أساء اليه صديقه المختفى ، وكانت كل حركاته واشاراته تنبىء عن منتهى هدوء العقل والضمير . وفى اثناء البحث عن المختفى سافر مرة او اثنين الى مدينة ليبج كخبير لمشروع كبير ، فباشر المهمة بذكاء وعلم واسع بالموضوع مما دعا اصحاب المشروع لان يعهدوا اليه بمهمة تنفيذ الآراء القيمة التى ابداها ووافقوه على طلبه الاستمرار فى الاقامة فى انتورب بجوار امه العجوز حيث تتلقى ابنته تعليمها ، وحيث يقيم اصدقاؤه العديدون ..

فأية شكوك اذن يمكن ان تقف امام هذه الظواهر الدالة على منتهى هدوء الضمير والمظهر البرىء



وذهب اليه حاملا مسدسه فاستقبله ارمان فى هدوء (ص۹)

وفى يوم ١٩ يناير وصل الى المحقق خطاب من المدعو (هنرى فوجان) من مدينة بال ، مكتوب بالانجليزية يقول فيه انه فزع عندما قرأ فى الصحف نشرة تسأل عن اخبار جيوم برناى ، وانه ادرك لدى قراءة النشرة ان خطابه الذى تركه فى المنزل رقم ١٥٩ شارع لالوا ببروكسل لم يقرأ بعد ، وان الحادثة المفجعة التى وقعت فى ذلك المنزل لم تكتشف بعد ..

وقال بعد ذلك ان موت برناى وقع قضاء وقدرا فى ذلك المنزل يوم ٧ يناير اذ كان يتفرج على مسدس له فانطلقت فجأة رصاصة أصابت المحامى وقضت عليه ، وعندئذ استولى عليه الفزع فآثر الفرار . وقال اخيرا انه سيوصل زوجته وطفله الى شمال فرنسا ثم يعود سريعا ليضع نفسه تحت تصرف العدالة .

حالما استلم رئيس النيابة هذا الخطاب أرسله الى الاستاذ دلفو المحامى ليعرضه على مدام برناى وفى الوقت نفسه اتصل بزميله فى بروكسل وطلب اليه ان يفتش المنزل بسرعة .

وعندما رات الزوجة هذا الخطاب قالت . « ولكنى أعرف هذا الخط » لقد شاهدته منذ أيام فى أدراج زوجى . . .

واسرعوا الى المكتب حيث عثروا على المكتبات التى اشرنا اليها .

وذهبت الارمل الشابه الى بروكسل لتتعرف على جثة زوجها ولما عادت احاط بها والداها وقليل من الاصدقاء وبينهم ارمان بلتزار ليحاولوا تعزيتها وادخال السلوى الى قلبها . .

وكان ارمان قد ذهب اليها بصحبة والديها اللذين كانا أبعد الناس عن الارتياب فيه .

* * *

هل مرت سحابة من الشك فى رأس الزوجة الارمل عندما سألت ارمان بلتزار بغتة فى احدى المرات فى حضور الاستاذ دلفو المحامى طالبة اليه ان يقسم لها بانه لا يعرف المدعو (هنرى فوجان) المجهول ولم يسمع ؟ ؟

بدا على ارمان كأنه أهين ، وتساءل عما اذا كانت مجنونة

أو أصابها مس حتى تسآله قسماكهـذا وكانت احتجاجاته تبـدو مخلصة بحيث أكـدت اقتنـاعالزوجة والاستاذ دلفـو بابتعاده عن هذه الفاجعة .

وأخيرا حنطتالجثة ونقلتالىانتورب وشيعت فىموكب رهيب سار فى مقدمتهارمان بلتزار الذىكان عميق التأثر بادى الالم أكثر من أى شخص آخر .

* * *

فتشتالنيابة والبوليسالمنزلرقم ١٥٩ شارع لالوا . فوجدوا جثةالقتيل فى غرفةالمكتب ، ملقاة فوق كرسى كبير كأنما هـو نائم وعثرواعلى آثاردماء فوقشاربيهوفوق السجاد (وهذا السجادله أهمية أخرى فى القضية سنشيراليها فيما بعد) ، واكثر الظواهر المادية التى عثروا عليها ترجح وقوع الحادث قضاء وقدرا كما قال هنرى فوجان الغامض فىخطابه الى رئيس النيابة .

غير ان المحققين لم ينخدعوا لاول وهلةبهذه المظاهر ، ووظيفة المحقق أن يتشكك دائمـا فى كلحقيقة حتى يصل الى الغاية . ولذلك افترضوا أن هذه المظاهركلها مرتبة لتكون شركا يقع فيه القتيل اولا، ثم لتضللبها العدالةبعد ذلك .

واستمر التحقيق يتأرجح بينهاتين النظريتين عدة أيام .

ولم يكن من العسير الوصولالى بعض المعلومات عن هنـرى فوجان الغامض فى بروكسـل ،واستطاعت التحريات ان تثبت أنه كان اسود الشعر ، اسـمرالنون ، يلبس نظارات سوداء

ولكن هذا لم يكن كافيا ، الىأن وقعت يد قاضى التحقيق على شىء صغير لايستلفت الا نظـر شرلوك هولمز . هذا الشىء، القى فى ظلام القضية المعقـدة بصيصامن النور ، فقد لاحظ القاضى فى مشط عثر عليـه فى غرفة النوموجود بضـع شـعرات شـقراء اللون . . . وبما أن التحريات أثبتت أن هنرىفوجان كاناسود الشعر ، أفلا يحتمل أن يـكونالمجرم قد دخل فى شعر مستعار وتحت تنكر ماهر ؟

ثم ألم يكن هنرى فيجان الذى ارسل يقول للنيابة ان الحادث وقع قضاء وقدرا .. ألم يكن قد وعد بانه سيضع نفسه تحت تصرف العدالة فى اقرب وقت ؟ فأين هو ؟ لقد طال انتظاره ...

بدأ الاهالى فى انتورب يتذمرون من بطء التحقيق، ولسنا فى حاجة لان نلفت النظر مرة اخرى الى ان هذه الجريمة أحدثت اعمق الاثر فى الرأى العام ، فأخذ كل فرد يقوم بنفسه بالتحقيق ويتهم ويحاكم ويصدر الحكم ...

قالوا . اذا كان ارمان بلتزار هو الوحيد الذى يستفيد من موت برناى لكى تصبح امراته أرملا فيستولى عليها .. واذا كان اسم هنرى فوجان هو اسم مزيف لرجل مزيف بشعر مزيف .. فمن يكون هذا القاتل اذا لم يكن ليون بلتزار الافاق ؟ أليس من الجائز انه جاء من امريكا متنكرا ليؤدى هذا العمل لشقيقه ارمان الذى أحسن اليه وطوق عنقه باكثر من صنيع واحد ؟

قالوا هذا ، وبدأت أيد خفية تخط بالطباشير على الجدران كلمات تقول (ابحثوا عن ارمان .. ابحثوا عن ليون) ..

وضع ارمان تحت المراقبة . وفى أحد الايام قرر قاضى التحقيق أن ينتقل الى بيته لاستجوابه وبدلا من ان يجد نفسه امام رجل تحوم حوله الشبهات ، رأى انه امام رجل مهيب الشخصية ومتمالك نفسه .

سأله القاضى عن علاقته بزوجة القتيل ، فأجابه كما يجيب أى رجل شريف قائلا انه مستعد لان يموت قبل أن تسقط من شفتيه كلمة قد تمس امرأة يقدسها كما يحبها ، وانه حرص على ألا يراها بعد جنازة زوجها حتى لا يعطى فرصة للقيل والقال .

وعندما انبه القاضى بالشبهات الموجهة ضد اخيه ليون بلتزار ، اقسم برأس ابنته ان اخاه فى امريكا وقدم اليه مراسلات جرت بينه وبين اخيه هناك .

انتهى قاضى التحقيق الى الاقتناع تماما ببراءة ارمان ..

وخرج من عنده وهو يقول ...« ان هذا الرجل اما أن يكون بريئا ، واما أن يكون اقدر ممثل رآه العالم » ..

ومع ذلك فان الشعور العام كان يتفاقم خارج التحقيق ضد ليون، واخذ تذمر الناس يزداد وجعلوا ينعون على السلطات تهاونها واهمالها ، ويشيرون بأصابعهم وألسنتهم وكتاباتهم فوق الجدران الى ارمان وليون بلتزار .

وشددت الرقابة على ارمان ، فلم تكن حركة من حركاته لتخفى على رجال البوليس السرى الذين كانوا يترصدونه ويتعقبونه فى كل مكان .

* * *

كان من بين الذين اصطفوا ارمان صديقا بعد مجيئه من امريكا طبيب من بروكسل اسمه الدكتور ريمى لافيزيه . ولما احس ارمان بانه رجل مشتبه فيه ومراقب ذهب اليه فى بروكسل وبسط له الموقف السيء الذى هو فيه ، وسأله ان يؤدى له خدمة بسيطة هى ان يكون وسيط المراسلات بينه وبين سيدة لا يريد ان يساء اليها فى الوقت الذى توضع فيه روحاته وغدواته تحت مراقبة جائرة ، والمهمة الاولى هى ان يتفضل الدكتور الصديق باحضار رسالة تنتظر ارمان من هذه السيدة فى محطة الشمال .

كان هذا الطبيب يستنكر اشد الاستنكار الشبهات الظالمة التى كانت تحوم حول هذا الصديق البرىء ، فابت مروءته ان يخيب رجاءه ، ولم يتردد فى قبول هذه المهمة ، واخذ يتولى ارسال وتسلم خطابات عديدة

غير انه حدث فى يوم ٢٦ فبراير حادث غير عادى يلفت النظر ، وذلك ان الدكتور لافيزيه راى - احتجاجا على الاشاعات التى كانت تدور حول صديقه - ان يدعو هذا الصديق الى مادبة عشاء مع مجموعة من الكبراء

تكامل عدد المدعوين : الا ارمان ، فظلوا ينتظرون وصوله

من انتورب . وبعد فترة قصيرة وصل . ولما دخل وقف شقيقه جيمس - وكان بين المدعوين المنتظرين - وقال مازحا ..

- ايها السادة .. لى الشرف ان اقدم لكم .. القاتل ..

هذه العبارة لم تقابل بما كان يتوقعه لها جيمس من الضحك والمرح ، ولكنها قوبلت بصمت ووجوم . واصفر وجه ارمان وارتعش ، واستمرت السهرة طول الليل يخيم عليها الضيق والضجر .

وبعد انصراف الضيوف ،انفرد المضيف بزوجته التي علقت على ما حدث تعليقا مفزعا ،وقالت ان ارمان بعد هذه المزحة غير الموفقة التي بدرت من اخيه ، اصفر لونه وظل طيلة السهرة يبدو فى هيئة الرجل الذى يستحوز على عقله الباطن رعب خفى ، وانها تشك فيما اذا كانت لهذا الرجل علاقة بجريمة شارع لالوا .. وإخبرت زوجها - لمصلحة اولاده وارضاء لضميره - ان يكف عن القيام بمهمة الرسول بين ارمان وبين صديقته ، واكثر من هذا ، قالت له انه يجب عليه ان يفكر فيما اذا كان من واجبه ان يبلغ النيابة عن هذه الرسائل ..

كان ايمان الدكتور لافيزيه بصديقه قويا ، ففسر ارتياعه لمزحة الليلة بانه راجع الى قلقه على اخيه ليون ، وثارت مروءته ضد فكرة خيانة الثقة التي أودعها فيه صديق ألم به ضيق ..

وبعد مناقشة استمرت طول الليل ، وعد الطبيب زوجته اخيرا بان يكف عن القيام بمهمة تسلم وارسال الرسائل

وعندما جاءه ارمان فى يوم ٣ مارس يطلب اليه احضار رسالة اخرى اعتذر اليه . ولكن فى اليوم التالى جاءه الساعة العاشرة مساء ورجاه بحرارة ان يتولى ارسال برقية اخيرة فلم يستطع الا ان يجيبه الى طلبه وذهب معه الى مكتب التلغراف ، ثم عاد

الى بيتــه من غير أن يهجس فى نفســه هاجس عن القنبلة التى توشك ان تنفجر

جلس الطبيب فى غرفةمكتبه وحوالى الســاعة الواحدة من الصــباح ســمع جرس الباب الخارجى يدق بقوة . فاســرع يطل من النافذة ، واذا بصديقه ارمان فى الشــارع يطلب اليه ان يقذف له بالمفتاح لان عنده شيئاهاما ، فنزل الطبيب يســتقبله

دخل ارمان وقال هامسا وهو يلهث :

ـ هل استطيع ان اثق بك..

اجابه الطبيب .

ـ طبعا ، ولكن ماذا هنا لك

دخــلا معا غرفة المــكتب . وهناك قال ارمان

ـ لقد حدث شيء فظيع .. كارثة . لقد فهم ليون برقيتى خطــأ . ســيكون هنا فى بحــر ســاعات قليلة ؛ فهل تخفيــه عندك ... ؟

ليتصور القــارىء مقــدارما استولى على الطبيب الصديق من الفزع .. اذن فلم تكن السيدة التى كــان يعين صــديقه على مراسلتها سوى ليون بلتزار ..

لم يتركه ارمان يفكر طــويلا واسرع يقول ويكرر ..

ـ هل تستطيع ان تخفيــه عندك ؟

صاح الدكتور ..

ـ لا. لا . طبعا لا

زمجر ارمان وقال بياس ..

ـ ماذا اصنع اذن ؟

قال الطبيب ..

ـ اذهب الى المحطة بنفسك وامنع ليون من النزول هنا

خرج ارمان من المنزل كمجنون وترك صديقه الطبيب حائرا .

انه لم يفهم شيئا ممــا حدث فظن ان ليون عند سماعه بحادث القتل ونتائجه قد اسرع بالحضور ليثبت براءته . نعم . ولكن لماذا يعتبر ارمان وصوله كارثة ؟

ايقظ المسكين زوجته وقص عليها ما حدث . لم تكن دهشتها وفزعها أقل مما أصاب زوجها . اية مؤامرة كان زوجها على وشك ان يزج فيها ..؟

قالت له انه لايجب ان يتردد فى تبليغ السلطات ..

ولكن الطبيب النبيل ظل مترددا . . اليست دواعى الصداقة وثقة الصديق احق بالاستجابة حتى من الروابط العائلية والالتزامات الاجتماعية ؟

واخيرا قرر — لكى يضع حدا لهذا العذاب النفسى — ان يستشير فى الموضوع بعض اصدقائه من رجال القانون ، وهم جميعا رجال شرفاء وممتازون امثال المحامى العظيم الاستاذ بول جونسون والاستاذ اوجين روبير ... ومن الغريب ان هذا الاخير كان احد من تولوا المرافعة عن ارمان فى مابعد .

نصحوه جميعا بالاسرع فى تبليغ النيابة . ففعل . ولم يتركه رئيس النيابة يخرج حتى قطع على نفسه عهدا بالا يخبر احدا بما حدث .

فى اليوم الثانى جاءته مدام بلتزار — والدة ارمان — تزوره وتسأله عن الاخبار اذ كانت تعرف انه صديق ارمان وقد مضى عليها يومان لاتسمع عنه خبرا .

كان ارمان قد قبض عليه فى المساء السابق فى انتورب ونقل سرا الى سجن بروكسل . وكان الطبيب يعرف هذا . ولكنه ظل عند وعده فلم يتكلم وقال لها .. لااعرف شيئا .

وفى اليوم الثالث جاءته أيضا ولم تكن بعد قد عرفت شيئا مما حدث . وفى هذه المرة اضطر ان يخبرها بكل شىء فى كثير من الترفق فسقطت الام المسكينة على الارض وهى تصيح ...

« ولداى .. ولداى قاتلان وكان ذلك من اجل هذه المراة ولداى قاتلان !.. رباه لماذا اعيش حتى اسمع هذا !...

وخرجت المراة الشقية تتمشرق اليأس وتتمزق من الالم ، فاذا بباعة الصحف يملؤون الشوارع هائجين ..

« القبض على ارمان بلتزار .. » وكان الناس يتزاحمون عليهم بالمناكب .

***

قبض على ارمان . ولكن ليون ظل مختفيا . واعيد استجوابه فأصر على ان اخاه فى امريكا . وظل على اصراره هذا الى يوم ٩ مارس

وفى ذلك اليوم استطاع البوليس القبض على ليون . وسئل ارمان اذا كان لايزال مصرا على ان اخاه فى امريكا ..

فأجاب : نعم

قال له قاضى التحقيق .

صحيح .. اذن فليون مازال فى امريكا .. هه .. فانظر خلفك اذن ..

وفتح الباب الفاصل بين الغرفتين ، واذا بليون فى الغرفة الاخرى ومعه الضابط الذى قبض عليه .. حاول ارمان ان يتمالك نفسه ويستر اضطرابه . وقال ..

ـ ماذا .. ليون كان متنكرا فى زى هنرى فوجان .. اوه .. يالك من شقى ..

احنى الاخ الاصغر راسه وتمتم قائلا :ـ

ـ ياأخى المسكين .

بعد هذه المواجهة المفجعة ، اخذ التحقيق اتجاها آخر . اخبروا ارمان ببلاغ صديقه الدكتور لافيزيه . فلم يستطع ان يصمد على انكاره الجهل بحضور اخيه من امريكا الى اوروبا ، واضطر ان يغير اتجاه دفاعه فقال ماياتى :

« كان على ليون ان يحضر الى أوروبا بناء على طلب احد الماليين واسمه هنرى مورای ليقوم بتحريات فى باجيكا والمانيا وهولندا وانجلترا عن مشروع انشاء شركة بواخر . ونظرا الى ماضيه السيء

اضطر ان يغير اسمه فى جميع خطوات رحلته . وقد قابلته فى باريس اذ كان يرغب فى استشارتى فى المشروع فنصحته بألا يمضى فيه .. واخيرا . فى مقابلتنا الثالثة وعدنى بأن ينقض اتفاقه مع موراى ويعود الى امريكا .

« عدت الى انتورب . ولما لم تصلنى منه انباء تأكدت انه سافر . وهنا اختفى المجنى عليه جيوم برناى . فلم تمر فى ذهنى سحابة من الشك عن اخى بدليل انى عاونت اسرة المختفى فى البحث عنه . وفى اليوم التالى للاختفاء فوجئت ببرقية من اخى يطلب مقابلتى فى مدينة ميستريخت وهناك اخبرنى بكل شىء . فقال لى انه بعد ما ترك باريس تقابل مع موراى الذى اقنعه بعدم النزول عند رأيى ، وانه اضطر ازاء هذا ان يستشير بعض الخبراء عن المشروع . وجاء فى راسه اسم جيوم برنى المشهور بسعة علمه فى هذه المسائل وانه نظرا الى الخلاف الذى كان بينى وبين برناى رأى ان يتنكر حتى لا يعرفه وفى هذه المقابلة وقعت الحادثة ففر الى المانيا

« فزعت لهذه القصة . وكان اول ماخطر لى أن أجعله يكفر عن هذه الجريمة غير المتعمدة ، وأوشكت ان اسلمه للبوليس فى بروكسل مع اعترافه ، ولكنى قدرت ان كل ممايعرف ماضيه التعس لن يصدق بوقوع الحادثة كما يرويها هو . واخيرا نصحته بأن يبتعد الى اقصى مكان . الاانى فكرت فى جثة هذا الصديق القديم ، الراقدة فى ذلك المنزل. فأسرعت الى الاتصال بليون وامليته خطابا الى النيابة حتى تأخذ السلطات علما بما حدث.. وفى خلال ذلك يكون اخى قد فر الى امريكا

« صحيح اننى ابتكرت فى مبدأ الامر دفاعا اثبت به ان اخى فى امريكا. ولكن من ذا الذى يلومنى على هذا .. لقد كنت احاول ان انقذ اخى من مصير فظيع .. فكنت بهذا شريكا له . ولكنى قد كنت افعل اكثر من هذا فى سبيل اخى .. اننى استنجد بكل احساس كريم فى اى رجل شريف »

هذا ماقاله ارمان . طبعا فى غير حضور ليون المتهم الاخر

والغريب ان ليون عنـــداستجوابه قص نفس القصة بكل تفاصيلها ، مع انهمـا لم يتقابلا فى الســـجن . والمفـــروض انهما فى اخر لحظة كانا يقدران عدم القبض عليهما . فالمعقول ان تؤخذ روايتهما على انها صحيحة ، الا اذا قيل انهما دبـرا الجريمـة فافترضا جميع الحالات وتوقعا جميع الظروف حتى ظرف القبض عليهما . فاذا صح الفرض الاول فان ارمان يكون بريئا الا من محاولة اخفاء اخيه . وسنرى فيما بعـد رأى الدفاع والنيابة

أما كيف وقعت الحادثـة فان ليون يقول انه عندما تقابل متنكرا مع المجنى عليه ، ميزه هذا الاخير فصاح باسمه الحقيقى واستفـزه وقال انه سيبلغ البوليس ، وعندئذ انطلقت الرصاصة من يد ليون بلا وعى فأصابت برنـاى الـذى سقط على السجـاد . فاستـولى الفزع على ليون ثم ركع بجـانب القتيل ورفعه من الارض وأرقده على الكرسى حيث عثروا عليه بهذا الوضع

ولما سئل ليـون عمـن زوده بالنقود .. بمبلغ ١٥٠٠٠ فرنك التى رحل بها من امريكا وتنقـل ودفع مصاريف الاستشارات الفنيه والقانونية وغير ذلك .. قال انه موارى . فلما سئل عن مقـره قال انه لايعـرف الان عنـوانه ، ويظنه سيأتى عندما يسمع بالخبر .. . ولكن موارى لم يحضر مطلقا وقالت النيابة انه اسـم مخـترع للتضليل ، وقال الدفاع ان موارى اسم حقيقى ولكن صاحبه اختفى خوفا من أن يصيبه رشاش من الجريمة

***

بدأت المحاكمة فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٨٢ . وكان رئيس الجلسة هو المسيو دومور وكـان قاضيـا واسع الشهرة بنزاهته المطلقـة . وتولى تمثيل النيـابة الافوكـاتو العمومى المشهور فان مالردحم

وتولى الدفاع عن المتهمين خمسة من أشهر المحامين هم ١ - أدمون ميكار وهذا يعرفه رجال القانون الى الان بمؤلفاته الفذة المشهورة

ـ ٢لوجون ـ ٣ اوجون روبير وقد مر ذكره ـ ٤ فان كالستر ـ ٥ شونفلد •• وليس اخرا

وأحسن وصف لهذه القضية هو ماجرى على السنه الناس عنها وقتئذ من انها كانت مباراة فذة بين مردة الخطابه •

* * *

كان المتهمان هادئين ، شديدى التأنق فى ملبسهما وخاصة ارمان الذى استدعى الالتفات بهدوئه العجيب وضبطه لاعصابه • كان كأنه يتفرج على محاكمة رجل اخر ووقع فى خلال المحاكمه حادثان لايتسع المقام لسردهما ونكتفى بان نقول انهما دلا على أن هذا الرجل كان يأخذ المحاكمة على انها جاءت نتيجة لخطأ تقدير النيابة ، كان شديد الثقة ببراءته ، وواثق من كلمة القضاء فى النهاية ، والا فلو انه كان مجرما فان تصرفاته كانت تستدعى مجهودا عصبيا خارقا لكل القوانين البشريه ، ويكون الله قد الهمه هذا الهدوء العجيب فى ضميره وفى قلبه • وفى اعتقادى ان الدور الشاق فى هذه القضية لم يكن دور النيابة ،ولم يكن دور المحامين • ولكنه كان دور المحلفين •

* * *

كانت مرافعة الافاكاتو العمومى قطعة فنية ظل الناس يقرأونها ويكررون قراءتها حتى حفظها الكثيرون عن ظهر قلب • وكان النظارة طول يوم مرافعته يستمعون بصمت كأنه الموت • وقد بدأ مرافعته بتحيه مؤثرة الى ذكرى المجنى عليه فقال •

انه من واجبى ان احمى ذكراه وادافع عنها ، ذكراه التى انكرها الجميع واساؤا اليها . ان من واجبى ان اسألكم التعويض للعدالة ؛ والتعويض لحق كل روح بشرية . الم نر ارملة الفقيد بلا شعور ؛ وبلا دموع لا تتصدق الا بعبارات الصفح المثلوج تنثرها فوق قبر الرجل الذى كان ابا لطفلها ؟



ـ ايها السادة لى الشرف ان اقدم لكم القاتل (ص ٢٠)

وتناول الافوكاتو العمومى بعدذلك ادعاء ليـــون بلتزار وقوع الحادث بلا تعمد ، فدحضـه وسخر منه ، واخـذ يثبت أن الحادث بكل تفاصيله مدبر ومرتب خرج من الراس المـاكر رأس ارمان بـلتزار الذى كان يحب زوجة القتيل ويتحين فرصـة الثأر من الزوج الذى طرده من بيته ... وقال :

« ارمان بلتزار الرجل المتكبر ، اذلت كبرياؤه ، وطرد من بيت برناى ، فأحرقه الظما للثار ، وفوق ذلك ، فقد كان يحب .. يحب بحيث دفعته عواطفه المجنـونة الى التخلص من الزوج الذى كان يقف فى سبيله .. لم يكن بغضك الذى دفعك الى قتل برناى .. لا .. وانما رغبتك المحـرقة فى الاستيلاء على امرأته ، ولهـذا لجأت الى ليون تطلب معونتـه لانك تعرف انه سيكون آلة صماء فى يدك .. نعم لقد انقـذته من السجن والعار مضحيا بثروتك وبمستقبلك فأصبح مدينـا لك بكل شيء ...

« هذا الافاق ، الهائم على وجه الارض لم يكن ليرفض لك مطلبا حتى ولو كان دم عدوك ، وببراعة شيطان ، ادخلته تحت تنكر ماهر ، لقد خلقت منه هوجان حتى تقصر يد القانون عن البطش بالقاتل ، وحتى تستطيع الاستيلاء على المراة التى تحبها ، والتى ، مهما كانت قلة اكترثها بزوجها ، كانت ترتعد جزعا من يدك التى تقطر بدمه . »

وتناول الافوكاتو العام بعد ذلك وقائع القضية فمزق دفاع المتهمين تمزيقا ، وكان النهار قد اشرف على نهايته فأجلت بقية المرافعة الى اليوم الثانى حيث انقطعت مرتين أو ثلاثا بسبب وقـوع حوادث اغمـاء لبعض السيدات من شدة الزحام اومن شدة التأثير .

اتجه الافوكاتو العمومى الى ليون بلتزار وقال :

اما زلت مصرا على ان هنرى موارى قد انتدبك لتنشىء مشروع

شركة الملاحة الدولية .. انت .. المفلس القديم ، والمغامر الافاق والسمسار الهائم لبيع الملابس الداخلية ولوازم السيدات ..
اتقول نعم .. حسنا : لايوجد فى الدنيا انسان يصدقك ...
وبعد ... الم يكن بين كبار المحامين فى انتورب محام تلجأ اليه لتستفتيه فى مشروعك الموهوم سوى جيوم برناى العدو اللدود لاخيك ... سوى الرجل الذى لم تجرأ على ان تقابله الا متنكرا ..

انك اخترت برناى . لانك لم تكن تطلب محاميا .. ولكنك كنت تطلب عدو اخيك .. زوج المرأة التى كان يذوب غراما فيها .. العقبة التى يجب ان تزول من وجهه مهما كان الثمن .
وتناول الافوكاتو العمومى تدبير القضية من وجهة نظر النيابة ، واستدراج المجنى عليه الى المنزل الرهيب حيث قابله ليون بلتزار متنكرا فى صورة هنرى فوجان واخذ يصف الموقف الاخير من المأساة فقال ان ليون قابل المجنى عليه عند ما طرق الباب وساعده فى خلع معطفه ، وتحدث وأياه عن الجو ... ثم قال موجها الكلام الى ليون : —

«جعلته يمشى امامك ، صعد درجات السلم ، وفى اللحظة التى مر فيها من باب غرفة المكتب اطلقت رصاص مسدسك على مؤخرة رأسه ، فى نقطة الحياة . لقد قتلت الرجل الذى وقف فى وجه اخيك ، والذى طرده من بيت غرامه ... سقطت ضحيتك بجانب المكتب ، وانى لاعتقد ان برناى لم يكن يعرف قاتله .. ولو انه عرف ، فبالهول الفزع الذى كان يملأ اللحظات الاخيرة من حياة تلك الضحية ... ثم .. ثم فررت كما يفر اى مجرم يتعقبه الغضب .. فررت من بيت الدم والخيانة حيث كان اخوك قد نصب شرك الجريمة ...
«لقد انتهيت .. اثبت الجريمة وبواعثها .. يا حضرات المحلفين انكم تمثلون عدالة شعب نبيل ، وليس يداخلنى خوف من القرار الذى تصدرونه »

بدأت بعد ذلك مهمة الدفاع ، وكان اول المترافعين الاستاذ اومون بيكار الذى كان رجال القانون يسمونه « عمنا الفقيه »

وكان فى تلك الايام قد بلغ اوج مجده فى المحاماه

بدأ مرافعته بكل شجاعة ، محتجا على النظارة ، تلك الجماهير الجاهلة التى تتدخل بضوضائها فى مثل تلك المحاكمة الخطيرة ، فلا يفتح المتهم فمه بكلمة حتى ترتفع الصيحات بعبارات التكذيب .. ثم قال :-

« لا شك انهم يريدون ان يأخذوا الامور كلها على هواهم ، وان يعقدوا هم المحاكمة فى ميدان عمومى ، حيث يقيمون من انفسهم - وهم عميان بالغضب ، وبالجهل وبالتعصب السياسى - قضاة ومحلفين وجلادين »

ثم اخذ يفند قرار الاتهام ، وقال انه يوافق النيابة على اعترافها بانه لم تكن ثمة علاقة آثيمة بين ارمان وبين مدام برناى .. ولكن اذا كان ذلك قد ثبت ، واذا كانت النيابة لم تقدم دليلا على ان مدام برناى لم تكن تبادله عاطفة ، فان الجريمة المنسوبة الى المتهم تصبح نتيجة بلا سبب والرجل الذى له مثل الذكاء الباهر الذى يمتاز به ارمان بالتزار لا يمكن ان يندفع الى القتل ليستولى على امرأة ثبت أنها لا تبادله عواطفه ، بل ثبت اكثر من هذا ... انها اقترحت عليه مرة أن تزوجه باحدى صديقاتها فرفض معتذرا بانه ما زال وفيا لذكرى زوجته الراحلة ...

« ان مدام برناى لم تكن اكثر من صديقة عزيزة لارمان الذى أعجبت به لفداحة التضحية التى بذلها لاخويه والتى أولت ابنته اليتيمة عطف الام . وبراءة هذه الصداقه لا تزكيها فقط عفة هذه السيدة . بل حالتها الفسيولوجية اذ اثبتت الجلسة السرية التى سمعت فيها اقوال طبيبها الخاص ، ان من المستحيل عليها أن تعاشر رجلا »

وبعد ذلك رسم المحامى صورتين متناقضتين للزوجة وزوجها ، فوضع صورة ملائكية للزوجة فى اطار تذهبه العفة والفضيلة الانسانية والشرف ، وجعل الزوج رجلا جشعا يخضع دينه وفلسفته لرحمة مصالحه الماديه . ثم قال :

« وفوق ذلك ، لقد اشتهر بين الناس ان ذلك الزوج عندما عجز عن معاشرة زوجته أخذ يبحث عن بدلها فى كل مكان ، وأوشك أن يهجر زوجته وطفله ويفر مع خادمته .. انه لم يكن تعيسا كما يصورون .. واذا كانت حياته مع زوجته أليمة ، فانها لم تكن الجحيم الذى صوروه ، فان مدام برنى تنازلت عن الطلاق لمصلحة ابنها .. فهل عارضها فى ذلك ارمان .. كلا ، وبالعكس - وهذا دليل آخر على براءة ارمان

« ثم من ذا الذى يصدق ان الرجل الذى انقذ أخاه مرتين من الخراب ومن العار ، والذى ضحى من اجله ما ضحى ، منذا الذى يصدق أن هذا الرجل نفسه يسلح أخاه هذا لارتكاب جريمة فظيعة فى الوقت الذى كان فيه قد بدا يحدد حياته يقيم حاجزا بينه وبين ماضيه التعس ... ان من الحمق ان نتصور انه عاون أخاه فى جلد ، وأولاه خالص النصح خلال سنوات طويلة من الخيبة وسوء الطالع ليجعل منه فى النهاية قاتلا !

« كان ارمان يعبد ابنته ، وقد أمر بأن يخفوا عنها الى الآن كل ما حدث لابيها .. فهل تتصورون ان هذا الاب المثالى ، هذا الارمل الذى لم يكف عن التوجع لموت زوجته الشابة .. هل تتصورون انه كان يضحى فى هذه الجريمة بمستقبل ابنته السعيدة .. ولماذا .. ليتزوج بامرأة لا تحمل له الا خالص الصداقة ، ولم تكن له الا اختا .. والتى لم تكن لتعاشره كزوجة الا وهى تعرض حياتها للخطر .. »

ثم انتقل المحامى الى نقطة اخرى فقال : -

« ان ارمان فى حالة مالية سيئة فقد ضحى بكل ما يملك لاخويه المفلسين ، واضطر ان يرهن حلى زوجته الراحلة ليعيش .. فمن أين له مبلغ الخمسة عشر الف فرنك التى صرفها ليون ..

« وفى سنة ١٨٨٢ بدات الحياة تبسم له ، وكان على وشك أن تسند اليه وظيفة كبرى كمدير لمشروع ضخم لتصدير الفحم فى مدينة لييج .. افلم يكن يجد الا هذه اللحظة ليجازف بحياته وبشرفه ، وليمرغ باسمه الفخور فى الوحل »

واكثر من مرة فى اثناء المرافعة، كانت جماهير النظارة تقاطع المحامى الكبير بصيحات الاستهجان فكان يقطع مرافعته ويتجه اليهم صائحا : ـ

«زمجروا ما شئتم ، وهتفوا بسقوطى ماشئتم يا أيتها الحزمة من الاغبياء الجهلة .. من تظنونه يعبأ بكم ؟ .. من الذى أقامكم هنا قضاة .. »

ثم يمضى فى مرافعته متعقبا أدلة الاتهام واحدا بعد الاخر غير عابىء بهذه الصيحات التى لم تكن تزيده الا حرارة وتشبثا فى تهشيم الاتهام وفى طلب البراءة

وبعد أن انتهى تلاه الاستاذ اوجين روبير المحامى عن ليون ، وكان قد اشتهر بمقدرة خطابية ناضجة ، وبالبديهة الحاضرة المشتعلة ، ولم تكن طريقته أن يبكى الناس ، ولكن كانت أن يضحكهم بسخريته اللاذعة ..

وقام بعده الاستاذ حول لوحون المحامى الممتاز اللامع الذكاء والذى اصبح فيما بعد وزيرا للعدل ، فمزق تقارير الخبراء تمزيقا ، ثم تلاه الاستاذ فان كالستر عضو نقابة المحامين، ونقتطف هنا جزءا من مرافعته اكتفاء به اذ قال :

« اذا كانت شركة الملاحة الدولية ليست الا تلفيقا لستر الجريمة ، فلماذا كان ليون باتراز يرهق نفسه هذا الارهاق فى استشارة عدة محامين دوليين فى برمن وهامبرج وامستردام .. ان من السخافة أن نصدق انه يلجأ الى هذه الرحلة المعقدة ذات المصاريف الباهظة لارتكاب جريمة تصدرها النيابة على انها مستعجلة

« لقد سمعتم شهود النيابة يقولون ان ليون المتنكر باسم فوجان فى باريس فى حالة نفسية ضاحكة ، وقدم لطفل مدير الفندق هدية ، وثبت انه كان ظاهر الهدوء والمرح فى فندق بريتانيا حيث امر للنزلاء بزجاجة من الشمبانيا قبل حدوث الجريمة بيوم واحد .. افيقال أن يكون هذا سلوك القاتل فى ليلة الجريمة ..

« لقد اراد ليون بكل بساطة ان يستشير برنى فى موضوع الشركة ، فلما قابله هذا ميزه من تحت تنكره فاهانه وهدده . فقد ليون وعيه واخرج مسدسه فى نفس اللحظة وأطلق الرصاص

« اذا كانت الجريمة مدبرة ومبيتة ، فكيف تفسرون هذه الحقيقة ، ان ليون قبل وقوع الجريمة بساعة أو اثنتين أخبر صاحب المنزل والجيران انه ينتظر زيارة احد المحامين من انتورب .. »

وبعد انتهاء هؤلاء المحامين الاربعة من مرافعاتهم ، قام الافوكاتو العمومى فسمى مرافتهم (مرافعة فى اربعة فصول) ووجه اللوم الى المحامين الذين خلقوا من مجرمين أبطالا وشهداء واتهمهم بانهم لطخوا اسم القتيل بالوحل لينقذوا قتلته من العقاب . ثم اخذ يرد على النقط الهامة التى قام عليها الدفاع بما لا نرى حاجة لترديده .

وجاء بعده دور المحامين فاختتموا المرافعات بالرد على رد النيابة

* * *

انتهت المرافعات فى الساعة الرابعة مساء ، وكانت الجماهير مزدحمة فى الداخل وفى الخارج فى انتظار الحكم ازدحاما دعا البوليس الى حشد قوات كبيرة جدا للمحافظة على النظام وللمحافظة على حياة المتهمين فى حالة اصدار الحكم بالبراءة

وبعد انتهاء المداولة خرج المحلفون فأعلن كبيرهم قرارهم بادانه الاخوين معا

واتماما للاجراءات سئل ليون عما اذا كان لديه ما يقوله اعتراضا على القرار فوقف وقال بصوت مرتعش : —

— انى اعترف بانى مذنب . ولكن اخى برىء ، و فى ادانته أخطأت العدالة خطأ أحتج عليه :

وهنا غضب رئيس الجلسة واعتبر هذا الكلام اهانة للمحلفين وقال انه لو لم يكن آسفا على مصير المتهم لجعله يدفع ثمن هذه الاهانة

وسئل ارمان بلتزار بدوره فوقف ، ومد يده بقفازها نحو المحلفين وقال : -

- فلتنزل عليكم لعنة ابنتي ..

وثار الرئيس مرة أخرى ، ثم طلبت النيابة اصدار الحكم بالاعدام على المتهمين ، وتداولت المحكمة لحظات ثم صدر الحكم بالاعدام ، وارتفع التصفيق من الجماهير الحاشدة واستمر طويلا

وصدر بعد ذلك مرسوم باستبدال الاعدام بالسجن المؤبد

* * *

بهذا نزلت الستار على الفصل الاخير من هذه المأساة الغامضة ، ولكن لقد جرت بعد هذا ، ووراء الستار ، أشياء اخرى تستوقف التفكير وتستلفت النظر

من هذه الاشياء انه لابد لنا من وضع هذا السؤال . هل كان الحكم مصيبا فيما يختص بأرمان أو غير مصيب ..

وقد قدمنا ان اهتمام الرأى العام بهذه القضية لم يقتصر على شهود التحقيق ولا على اسابيع المحاكمة . بل استمر بعد ذلك شهورا طويلة بل سنين

وبعد يومين أو ثلاثة من صدور الحكم ، مات فجأة احد المحلفين الذين استنزل ارمان بلتزار عليهم لعنة ابنته ، وجرى بين الناس هذا الخبر كما تجرى أية خرافة ، فقالوا ان اللعنة حاقت بالمحلفين . وانتهز الاستاذ ادمون بيكار هذه الفرصة السانحة فأصدر كتابا مفجعا ضمنه هذه القصة بعد تغيير فى الظروف والاسماء واسماه (المحلفون)

وقد عامل رجال السجن السجينين معاملة ممتازة باعتبارهما من الطبقة العليا . ومرض الاخ الاكبر مرضا نقل على اثره من الزنزانة الى غرفة فسيحة تتوافر له فيها الراحة ، وسمح له بارتداء ملابسه الخاصة .

ولما علم الاخ الاصغر بهذا المرض ، كتب الى الملك ليوبولد كتابا مؤثرا جاء فيه : -

« مولاى

« أدين أخي وهو برىء ، ولم اكف عن التصريح بأن أخي انما يكفر عن تضحية قدمها الى بنبل وكرم ، وانه الآن ليموت مسحوقا تحت هذا المصير الفظيع الذى سيق اليه فى وقت كان محوطا فيه بعواطف الجميع وتقديرهم ، وليس ينجى حياته من الموت الا العفو والافراج عنه

« فلترحمه يامولاى ، لقد وسعه كرمك فأبدلت بالاعدام السجن . فانقذه من الموت المحتم الذى هو شر من الاعدام

« أنك يامولاى سترده الى الحياة ، الى أمه ، الى ابنته ، الى اصدقائه ، وستنقذنى فى الوقت نفسه من الحزن الذى سوف يمتص حياتى اذا تركتنى احتمل وخز الضمير وأنا اتحمل مسئولية موت اخي التعس الذى كان نبيلا وكريما معى ومع كل أفراد اسرته . فوق الندم الذى يخيم على حياتى بعد أن ازهقت روحا بشرية »

وظل هذا الخطاب بلا جواب ، واشتد المرض على ارمان ، ثم عاجلته منيته ومات فى السجن بعد الحكم بسنتين واربعة اشهر ، وبعثت هذه الوفاة فى اذهان الناس ذكرى المأساة

طلب ليون بلتزار بعد هذا أن يسمح له باثبات براءة أخيه ، ولكن هذا الطلب رفض ، وعندئذ توفر جيمسى بلتزار الاخ الثالث على تأليف مجلد ضخم لم يلبث ان اصدره ، يحمل فيه على المحاكمة ويوضح براءة الاخ الاكبر ويسمى المحاكمة (جور العدالة)

وكان هذا الكتاب من العوامل التى بعثت ذكرى المأساة اذ عادت المناقشات حامية الوطيس حول براءة أو عدم براءة ارمان بلتزار

وبعد أن خمدت هذه الفورة عادت الى الالتهاب مرة أخرى على اثر ما سمع الناس عن زوج مدام برنى زوجه القتيل بالاسناد

فردريك دلفو المحامى المشهور،وكان شيخا وارملا ماتت زوجته وتركت له طفلين ، وكان اقدامه على الزواج بهده السيدة دليلا على ايمانه العميق بطهارتها

***

نعود بعد ذلك الى حياة ليون فى السجن لنقول انها ربما تكون اغرب حياة لسجين فى تاريخ السجون فى العالم كله

ظل هذا الرجل فى السجن ثلاثين عاما أفرج عنه بعدها . والمدهش انه رفض ان يخرج من زنزانته طول هذه المدة ولو للرياضة فى فناء السجن اذ ابت عليه كبرياؤه ان يختلط بالسجناء اصحاب الجرائم الحقيرة ، وكان يقضى بعض وقته فى اصطياد العنكبوت والتحدث اليه حتى لاينسى الكلام ، وقل زواره فى السجن بعد ان رحلت أمه من بلجيكا مع حفيدتها وبعد ان مات اخوه جيمس ، ولعل ماحجزه عن الانتحار هو انه وهب نفسه للمطالعة والدراسة اللتين اعانتاه على التجلد

واضافت وفاة ارمان اليه اثقال الحزن ووطن نفسه على أن يمتنع عن الطعام والشراب. ولكنه عدل عن هذه الفكرة بأمل ان امرا بالعفو قد يصدر عنه . وفى نهاية العشر السنوات الاولى لسجنه تولى وزارة العدل الاستاذ جول لوجون أحد محامى هيئة الدفاع

هذا المحامى العظيم ذوالقلب الكبير ، والذى كان واحدا من القلائل الذين ظلوا مثابرين على زيارة ليون فى السجن ، كان قد بدأ يحس بالعطف والاحترام لهذا السجين ، وكان يؤمل ان يطلقه من سجنه ، ولذلك قدم الى البرلمان البلجيكى قانون الافراج الشرطى الذى كان ينوى ان يجعل ليون اول من يستفيد منه . وفى احدى محادثاته معه قال له : ــ

ــ ان ابواب بيتى ستكون دائما مفتوحة لك . وستكون زوجتى سعيدة باستقبالك .

وهكذا استطاع هذا الاسير ان يرى مـن ظـلامه الحـالك بصيصا من النور . ولكن عجلة السياسة الطاحنة لم تلبث ان دارت دورتهـا واقصيت عـن الحكم الوزارة التى كان محاميه وزيرا فيها

ولـكن هذا المحـامى العظيم والوزير النبيـل لم ييأس ؛ بل تكاتف مع زملائه اعضاء هيئـه الدفاع وبعض اصحاب النفوذ ، وظلوا يكافحون من أجل هـــذا السجين ، وكم من مرة اعتقدوا انهم نجحوا فى مسعاهم ، ولكن لاتلبث العقبـات ان تقـوم دون الغاية

ومن المهم هنا ان نلفت النظر الى نبالة أولئك المحـامين الذين لم تنقـــطع علاقتهم بمتهمهم وبقضيته طوال الثلاثين من الاعوام التى أمضاها فى السـجن ؛ بل ظلو يزورونه فى سجنه ويدافعون عن قضيته حتى نجحوا أخيرا فى استصدار قرار بالعفو عنه

فى محيط هذا اليأس الشامل والالم القاتل اللذين كان السجين التعس يتنفس فيهما ؛ عـرض عليـه رجال السـجن فى بعض المرات ان يعترف عـلى اخيـه ويكون هذا الاعتراف ثمنا للعفو عنه . ولكنه كان يرفض بشـدة قائلا انه قرر الحقيقة ولايعترف بغير الحقيقـــة ؛ ولا يسيء الى ذكرى اخيه مهما كان الثمن

أما شخصيته فقد بدلت منها سنوات الاسى تبـديلا عجيبا ، فان ذلـك الافاق المفلس الذى انتهى الى ان أصبح قاتلا ؛ خرج من السجن مثالا للانسان الكامل . اذ اكسبه توفره على المطالعـة ثلاثين عاما علما واسعا خلق منه رجلا مثقفـا على أتم مايكـون الانسان ثقافة ؛ فضـــلا عن ان الوحدة الدائمة هذبت من خلقه ورققت من طباعــه وعواطفـه وجعلته انسانا فوق الانسانيـة حتى انه عاش بعد الافراج عنه اثنى عشر عاما رجلا ذا كبرياء عجيب ، يأبى معونة احد مهمـاكان صديقا ، ولا يعتمد على ان يعيش الا من عمله ومـن اعانة صغيرة كانت تزوده بها شقيقة

له ، وكان يحسن بكل ماعنده .الى البؤساء والضعفاء وعندما غلبت الشيخوخة فتوته واصبح عاجزا عن العمل اصر على أن ينتحر فقذف بنفسه فى النهر

وتتصل بحادث انتحاره هذا ظاهرة من أغرب ظواهر القضاء والقدر ، وذلك أن جثته ظلت تتقاذفها الامواج حتى القت بها الى الشاطىء وعثر عليها بعض الناس ، وهنا وقعت واقعة مما لايكاد يصدقه العقل

ويهمنا أولا أن نعود خطوات الى الوراء ، فقد كان من بين ماعرض فى المحاكمة سجاد ملوث بالدم هو الذى وقع عليه القتيل وكان للسجاد دور هام فى التحقيق وفى المحاكمة وفى المرافعة .. هذا السجاد نفسه ظل بعد المحاكمة يتداول من يد الى يد مدى أربعين عاما حتى وقع فى يد أحد الفلاحين . . . وهذا الفلاح نفسه هو الذى طلب اليه البوليس . ان يستحضر من كوخه القريب شيئا لتلف فيه جثة الفريق المنتحر الذى قذفت به الامواج الى الشاطىء والذى لم يكن سوى ليون بلتزار ... !

ذهب هذا الفلاح الى الكوخ وعاد يحمل السجاد التاريخى الذى سقط فوقه القتيل وتلوث بدمه ، وبهذا السجاد لفت جثة القاتل المنتحر بعد اثنتين واربعين سنة من الجريمة !

فبماذا نفسر هذه الظاهرة الخارقة ؟

بماذا نفسر هذا السجاد .. العنصر الاهم من عناصر الاتهام . قطعة الاثاث الملوثة بدم القتيل ..بماذا نفسر انها ظلت تتبع القاتل عبرت اليه الزمان والمكان حتى أدركته أخيرا فى موته فغطت جثته .

هل هناك قوانين خفية تسيطر على الطبيعة الانسانية ، وتتحكم فى مصائر هذه البشرية

أليس هناك مايحملنا على التفكير فى ذلك اذا تأملنا فى اليد الجبارة التى تتحكم فى المصائر فتظل تتعقب القاتل من مكان الى مكان ، ومن زمان الى زمان حتى اذا أخذ يفر من الحياة ، من

مسرح جريمته ، امتدت هـذه اليد فجرته من قفاه لتحبسه في جريمته حتى بعد اثنتين واربعين سنة من التفكير الاليم ..

أم أنه ليس فى الامر رموز ولا اشارات ولا يد خفية ولا غير هذا وذاك ، وانما وقع ذلك بمحض المصادفة . .

ام انه اذا كان لهذه الحادثة من مغزى ، فانها تعنى العفو الاخير الممنوح من السماء للقاتل المنتحر اذ ساقت اليه السجاد لتدفىء جسده المقرور من برد النهر بعد أن أدى دينه الى المجتمع مكفرا عن جريمته ثلاثين عاما بالسجن وأكثر من عشرة أعوام بعد السجن فى حياة الشقاء . .

اننا نميل الى أن نقول تفسير الهذا السبب والنتيجة لاينفصلان فمهما اتخذ المجرم من التحوطات ليفصل نفسه حسيا ومعنويا عن العمل الآثم الذى قارنه ، فأن هـذا العمل سوف يعود اليه ويجره جرا الى الماضى الذى جد فى الفرار منه





اهتم الرأى العام فى انجلترابهذه القضية عند وقوعها ، وزاد من اهميتها ان التحقيق فيها فشل فى أول الامر فشلا انتهى باعتبارها قضية قتل امرأةمجهولةبيد شخص مجهول ، ولكن كبير المفتشين فى بوليس اسكتلانديارد تولى امرها بنفسه بعد ذلك ، فكشف عن شخصيةالمرأة القتيل ثم عن شخصية القاتل ببراعة تستدعى الاعجاب . كما زاد من اهميتها أنه كان على رأس هيئة الدفاع عن المتهم المحامى المشهور السير مارشال هول وهو المحامى الذى يذكر كثيرون من القراء انه ترافع فى قضية مقتل المرحوم على بك فهمى عن القاتلة مرجريت فهمى وحكم ببراءتها .

ولما كانت وقائع القضيةوشهادةالشهود واجراءات التحقيق تتركز كلهافى المرافعة الافتتاحيةللنيابة ، فاننا نستغنى عن كل ذلك بايراد هذه المرافعة .

* * *

قال المستر جيل ممثل النيابة :ـ

« فى صباح ٢٣ سبتمبر من العام الماضى (١٩٠٠) وجدت على الشاطىء الشمالى لضاحيةيارموث جثة امرأة مقتولة .

« كانت المرأة مسطوحة على ظهرها فوق مسقط تل منحدر ، وكانت ذراعاها ممدوتين الى جانبيها وأصابعها منقبضة ، وفى وجهها عدد من الجروح والرضوض ومعقود حول رقبتها رباط حذاء .

وكان المفتاح الوحيد لمعرفة شخصيتها هو الرقم ٥٩٩ المثبت

فى ملابسها الداخلية وهو العلامة التى تميز الملابس عنـد الغسالين والكوائين . وكان محيط رقبتها حوالى عشر بوصات ، بينما كان طول الرباط لا يزيد على ثمانى بوصات ونصف بوصة . ووضح من الكشف الطبى ان الموت وقع نتيجة الاختناق

وظهر انها كانت تقيم منذ ١٥ سبتمبر فى بيت عائلة تسمى (رورم) . وقد ذهبت اليهم ومعها طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات . واستأجرت غرفة ظلت تسكنها حتى ٢٢ سبتمبر .

وكان الطفل صغيرا جدا بحيث لم يكن فى الامكان اخذ معلومات منه . ولم يوجد شىء آخر يمكن ان يستدل منه على شخصية المرأة .

وقد عرفت فى بارموث باسم هو (هود) حيث انه كان قد وصلها فى مساء ٢١ سبتمبر خطاب معنون بهذا الاسم وعليه طابع ضاحية وولويتش .

وكانت المرأة تلبس اثناء اقامتها فى بارموث سلسلة ذهبية طويلة وساعة فضية . وكانت تلبسها فى يوم ٢٢ سبتمبر فى آخر مرة شوهدت فيها على قيد الحياة عندما خرجت من المنزل بين الساعة الثامنه والتاسعة . وهذه السلسلة والساعه لم توجدا مع الجثه ، ولم يعثر لهما على أثر . وكذلك لم توجد الحقيبة الصغيرة التى خرجت بها .

فتح التحقيق ثم اجل الى ٢٩ اكتوبر حيث بدأ فاشلا من أول الامر لعدم التعرف على شخصية القتيلة .

فى يوم الثلاثاء السابق على الجريمة ، كانت المرأة قد صورت نفسها على الشاطىء مع طفلها صورة فوتوغرافيه . ووجد البوليس هذه الصورة فى غرفتها

ولم تكن ترد اليها خطابات ، والتحريات الواسعة التى أجريت عن امرأة مفقودة باسم هود لم تأت بنتيجة .

وفى آخر اكتوبر قرر المحققون اعتبار الحادث قتل امرأة مجهولة بيد شخص مجهول .

وكان من بين مسائل القضية هذا السؤال . هل تمت الجريمة بتدبير سابق ؟ ام وقعت فجاه ؟ وهل قتلت هذه المراه بيد رجل قادها الى مكان لاتعرف فيه شخصيتها . ؟

ثم اتضح من التحريات التى أجراها البوليس فى وولويتش أن الرقم ٥٩٩ يستعمل لتمييز ملابس ترد الى الكواء من المنزل رقم ١ فى بكسلى هيث . وظهر أن امرأة تدعى مسز بنيت كانت تقطن هذا المنزل مع طفل صغير ، وكان يتردد عليها رجل اسمه بنيت أيام كانت تعيش هناك واستطاع المستر ليتش كبير المفتشين فى قلم التحقيق الجنائى أن يتصل برجل اسمه (الن) الذى ادلى بمعلومات عن المرأة وعن المتهم . ونتج من هذا أن المرأة التى كانت تقطن هذا المنزل وتعرف باسم مسز بنيت هى نفس المرأة التى أخذت لها صورة فوتوغرافية على الشاطئ وهى الصورة التى وجدت بمنزل آل ردرم فى بارموث .

وفى مساء ٦ نوفمبر قابل (الن) المتهم فى وولويتش وقدم اليه المفتش ليتش الذى طوقه بذراعيه بمعاونة ضابط آخر ، وقال له . اننى ضابط بوليس . واقبض عليك بتهمة قتل امرأة اسمها هود على بلاج بارموث فى ليله ٢٢ سبتمبر أو فى صباح ٢٣ سبتمبر .

وكانت اجابة المتهم على هذا أن تساءل قائلا : ماذا تعنى ؟ لماذا كل هذا ؟

وعندئذ أعاد المفتش على مسمعه نفس الكلام ، فقال المتهم لا أفهم ماذا تعنى .... انى لم اذهب ابدا الى بارموث .. ولم أعش مع زوجتى مطلقا منذ شهر يناير بعدما ضبطت عندها خطابات مرسله اليها من آخر .

وعثر البوليس فى جيبه على مفاتيح . وفى غرفة فى المنزل رقم ١٨ شارع ويليم بوولوتيش عثروا على سلسلة ذهبية وساعة فضية نسائية . هذه السلسلة والساعة هما ماتقرر النيابة أن القتيل كانت تلبسهما فى ليلة مقتلها .

وقد ميز المستر وليام كلارك والد القتيل صورتها الفوتوغرافية

نعــود الى منشأ العــلاقة بين القتيلة وبين المتهم .

كانت القتيــل تعطى دروسا فى البيانو والكمان ، وكان المتهم يتلقى عليها بعض الدروس . ومن هنا بدأت علاقتهما . وتزوجا فى ٢٢ يوليو سنة ١٨٩٧ وعاشا فى بيت جــدتها التى توفيت فى السنة التالية والتى كانت معتادة على أن تلبس سلسلة ذهبية طويلة وعدت بأن تكون لحفيدتها بعد وفاتها . وعند وفاتها نفــذ والد القتيلة وصية الجدة .

وهذه هى السلسلة التى وجدت فى حيازة المتهم ، والتى ثبت أن القتيل كانت تلبسها فى ليلة ٢٢ سبتمبر يوم مقتلها .

واستعرضت النيابة بعد ذلك فترة من تاريخ الحياة الزوجيــــة بينهما حيث كانا يتعيشان بوسائل غير شريفة . وسافرا الى افريقيا وعادا منها واستأجرا غرفة فى منزل مسز اليستون التى تشهد بقسوة المتهم فى معاملة زوجته .

وتشهد مسز اليستون بأنهــا سمعت القتيل يوما تقول للمتهم: (هربرت . سأتبعك حيث تذهب من أجل الطفل . فاذا لم تتعقل فانى مستطيعة أن أرسلك خمسة عشر عاما الى السجن) وأجابهــا المتهم بأنه يتمنى لها الموت . وبأنها اذا لم تتعقل فسوف تموت ، وبأنها كانت دائما مصدر ازعاجه .

وتحدث النائب عن نزوحها الى وولويتش حيث وجد عملا . ثم افترقا فى معيشتهما ، واستأجر هو سكنا خاصا كأنه غير متزوج ، وقطنت هى والطفــل فى المنزل رقم ١ فى بكسلى هيث السابق الاشارة اليه والذى يقع على بعد ٤١ ميلا من المنزل الذى يسكنه هو . وكان يزورهــا من حين لآخر .

ثم قال : —

« وفى شهر أغسطس مرضت المرأة ، وأرسلت الى المتهم برقية فيها « اجتهـــد أن تحضر . مريضــة » وقد فسر هو هــذه البرقية لصاحبة المنزل قائلا ان ابن عمه الذى يعيش فى بكسلى مع زوجته وطفله مريض جدا .

« وفى ٢٩ يونيه ترك عمــله وظل عاطلا حتى ١٦ يوليه

« وكان يسكن فى المنزل الذى يسكن فيه المتهم رجل يدعى ستيفنس له علاقة بفتاة تعمل طاهية فى أحد البيوت •

ظن ستيفنس ان المتهم أعزب فعرفه بفتاة تدعى اليس ميدوز تشتغل فى نفس البيت ، ورؤى يكتب اليها ويخرج معها •

وفى خلال شهر يوليو وفق فى الحصول على عمل فى ترسانة وولويتش بثلاثين شلنا فى الاسبوع

وفى أواخر يوليو عزم هو وصديقته ميدوز على قضاء بضعة أيام فى ايرلنت • ولكنهما عادا فقررا الذهاب الى مصيف يارموث حيث ان الطاهية صديقة ستيفنس كانت هناك وتعرف بيتا أو بيتين يمكن استئجار غرف فيهما •

أحد هذين البيتين هو بيت ردرم ، وهو الذى سكنت فيه القتيل أخيرا • وفى ٣٠ يوليو أرسل المتهم خطابا الى المسز ردرم، يطلب حجز غرفتين لعطلة آخر الاسبوع • فردت عليه المسز ردرم معتذرة لعدم امكانها ذلك•

الخطاب المرسل من المتهم الى المسز ردرم له أهمية خطيرة نظرا الى وحدة الخط بينه وبين الخطاب الذى تسلمته القتيل فى ٢١ سبتمبر

وبالرغم من انه لم يستطع استئجار هاتين الغرفتين فانه ذهب هو وفتاته الى يارموث ،ونزلا فى فندق التاج والهلب • واستأجرا غرفتين منفصلتين وقام على خدمتهما خادم اسمه ريد • واهمية هذا هى فى اثبات ان المتهم لم يكن فقط يعرف عنوان بيت ردرم ، بل أيضا فندق التاج والهلب •• أى انه كانت عنده فرصة معرفة مصيف يارموث كله •

«ثم عاد هو والانسة ميدوز الى وولويتش • وفى نهاية شهر أغسطس صحبها الى ايرلندة لمدة سبوعين ثم عادا فى ١١ سبتمبر وهنا كان قد طلب يدها، واهداها خاتم الخطبة وقررا الزواج فى شهر يونية من السنة التالية ،وقدمها الى المسز بانكهرست صاحبة المنزل الذى يسكنه على انها زوجته العتيدة •

فى هذا الوقت كان مركز المتهم قد أصبح حرجا اذ كانت امامه زوجة ، وهو فى نفس الوقت يرتب زواجه بهذه الفتاة.

فى ١٤ سبتمبر زار زوجته وطفله حيث كانا يقيمان فى بكسلى هيث . ولم يكن يزورهما الا نادرا جدا اذ كان يقضى أوقات فراغه كلها مع خطيبته • وبعد هذه الزيارة علم جيران القتيل انها تستعد للرحيل •

وفى ١٥ سبتمبر زارها ايضا ثم انصرف • وفى هذا اليوم حزمت حقيبتها الصغيرة واغلقت المنزل ورحلت • وكانت هذه اخر مرة راها فيها جيرانها •

سافرت القتيل الى يارموث فى هذا اليوم ، وذهبت توا الى منزل المسز ردرم ، والراجح أن شخصا مايعرف هذا العنوان هو الذى اقتادها اليه . ولكن احدا لم يشاهد معها .

وسوف تسمعون شاهدا يقرر أن المتهم – فى نفس هذه الليلة – جاء الى فندق التاج والهلب ومعه حقيبة صغيرة حيث نام الليل وبارحه فى الصباح •

وفى يوم ١٩ سبتمبر ذهب الى حيث كانت تقطن زوجته قبل رحيلها • ولم يدخل المنزل ولكنه ستعلم عما اذا كان أحد قد سأل عنه هناك •

وفى ٢٠ سبتمبر اعتذر الى خطيبته من عدم امكانه قضاء يوم الاحد التالى معها نظرا الى اضطراره الى زيارة جده المريض •

وفى ٢١ سبتمبر كتب اليها خطابا اخر • و ٢١ سبتمبر هو نفس اليوم الذى تسلمت فيه القتيل الخطاب الذى يحمل ختم بريد وولويتش •

وفى ٢٢ سبتمبر فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، رحل المتهم من وولويتش • وتشهد صاحبة المنزل بذلك

وفى نفس المساء بعد ان تركت القتيل ابنها فى حراسة خرجت بغرض مقابلة شخص ما • وشوهدت فى الساعة الثامنة

والنصف أو التاسعة مساء واقفةفي التيدنهول كأنها تنتظر شخصا ما • وقد رأتها هناك وتحدثت اليها المسز ردرم صاحبة منزلها

وكذلك يشهد المستر بوركنج الذي يملك مقهى عاما ان المتهم وزوجته القتيل دخلا الى محله في الساعة العاشرة مساء • وقدلحظ ان من عادة المتهــــم أن يعبث بشاربه •

وتشهد امرأة تدعى جيسون كانت فى المحل أيضا بانها ميزت المرأة والمتهم •

وستجيء بعدذلك شهادةشاب اسمه ماسون وفتاة اسمها بلانش سميث اللذين كانا حوالى الساعة الحادية عشرة مساء موجودين فى مكان من الشاطيء بعيد عن الطريق العام يؤمه فى العادة كل فتى وفتا يرومان الاحتجاب عن الانظار •

كان هذا الفتى وهذه الفتاة يجلسان هناك فى مكان لا يراهما فيه أحد • وبعــــد دقائق من حضورهما سمعا وقع أقــــدام لاثنين اخرين عــلى بعد حوالى ثلاثين ياردة منهما وســمعاهما يتكلمان بصوت مرتفع •

« كانت القتيل ضعيفة السمع الى حد الصمم تقريبا .

« ويقول الشاهد ان الرجــل والمرأة جلسـا او رقدا على الارض وبعد فترة قصيرة سمعت الفتاة اولا صوت امرأة تتوسل قائلة . الرحمــة الرحمــة . وبعد ذلك سمعا شبه صراخ وأصواتا تشبه الانين ثم سكت كل صوت . ومن الراجح ان المجنى عليها قتلت فى هذه الساعة .

« ولم يفعــل الفتى والفتــاة شيئا . وكان الظلام حالكا فلم يميزا شخصيتى المرأة والرجل ،ولكن ما سمعاه هو نفس ما حدث

« بعد ذلك وصــل المتهم الى فندق التاج والهلب قبل منتصف الليل بقليل . وقال للخادم انه انما يلهث لانــه لم يدرك الترام الاخــير . وقال ايضــا انه يود اللحاق باول قطار يقوم الى لندن فى الصباح ».

« انتقل المتهم بعد ذلك الى مهمة اخرى . هى التخلص من ايجار البيت الذى كانت تقطنه زوجته وطفله فى وولويتش قبل انتقالهما الى يارموث . فذهب الى هناك فى ٢٦ سبتمبر وقابل اصحابه واعلنهم بانه سيخليه . وفى نفس اليوم ذهب الى خطيبته فانبأها بان ابن عمه سافر هو وزوجته الى جنوب افريقيا وانه اشترى منهما اثاث منزلهما وانه يود الزواج بها فى عيد الميلاد .

« وفى ٢٨ سبتمبر كتب الى صاحب المنزل المذكور خطابا ارفق به اجرة ثلاثة شهور فى مقابل فسخ العقد

« وفى ٤ اكتوبر ذهب الى هناك واخذ من المنزل حقيبة كانت قد تركتها هناك ، وقال لبعض الجيران انها فى يوركشير بسبب اعتلال صحتها وانه سيرسل الحقيبة اليها . واخذ معه كذلك اشياء اخرى منها ملابس اعطاها لخطيبته على انها ضمن ما اشتراه من ابن عمه . وكذلك اراد بيع البيانو . واتصل بصديقه الن الذى كان فيما بعد سبب القبض عليه والذى كان يعرف انه متزوج .

« وفى ١٧ اكتوبر هجرت اليس ميدوز — الخطيبة — عملها واستأجرا مسكن الزوجية

« وفى ٦ نوفمبر قبض البوليس على المتهم . وبتفتيش مسكنه وجدت عدة اشياء ، منها خطابات كثيرة من اليس ميدوز وعدد من الملابس والاشياء التى كانت عند زوجته .

« وفى التحقيق اطلعوه على صورة زوجته فقال انه لايستطيع تمييزها بوضوح ، وسأل ان كانت صاحبة الصورة شقراء أم سمراء .

« وقد انكر لاول وهلة انه كان فى يارموث . وقال ان مستر بانكهرست ورجلين آخرين يستطيعون ان يثبتوا اين كان فى ليلة الحادث . وبسؤال هؤلاء الاشخاص قالوا انهم لم يكونوا بصحبة المتهم فى تلك الليلة .

« وأخيرا لست اريد ان أعلق على القضية عند حدها هذا ، ولكنني سأستدعي الشهود ليثبتوا الوقائع كما سردتها امامكم ».

هكذا افتتحت النيابة مرافعتها وهى مرافعة كل قوتها فى بساطتها ، وكل اعجازها فى تسلسل الايضاح وترتيب الخطوات .

وقد سمعت المحكمة والمحلفون شهادة الاثبات . وقد شهدوا جميعا بكل ما قررته النيابة فى مرافعتها . وحاولت هيئة الدفاع بقيادة الاستاذ مارشال هول الاستفادة باقصى مقدرة من مناقشة هؤلاء الشهود عسى أن يلقفوا من افواههم شيئا لصالح المتهم .

* * *

لو صحت الوقائع على الشكل الذى قدمته النيابة فهل بقى للمحامين عن المتهم ما يقال فى طلب البراءة ؟ واذا استطاعت براعتهم الفائقة ان تجد ما يقال ، فهل كانوا يعتقدون حقا ببراءة المتهم .

الجواب على الشطر الاول من السؤال سنعرفه من مرافعة السير مارشال هول .

اما الشطر الثانى فنجد الاجابة عنه فى كتاب (حياة السير ادوارد مارشال هول)(١) الذى صدر بعد وفاته اذ جاء فى هذا الكتاب عن هذه القضية ان المحامى الكبير كان يؤمن دائما ان هربرت بنيت — المتهم — برىء من هذه الجريمة وهو ولو انه يعتقد ان هذا المتهم كذاب وسافل ومجرم بالطبع ، الا انه مع هذا لم يقتل زوجته . وقال فى رسالة له (ان من خير المجتمع أن مجرما بالفطرة مثل بنيت يجب ان يشنق . وليس يدهشنى ان اسمع انه ارتكب جرائم قتل لم تكشف ، ولكنى واثق انه لم يقتل زوجته على بلاج يارموث فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٠٠ .

وقال فى هذا الخطاب ايضا .

(لست الرجل الذى يهتم بشىء لا ضرورة له . خصوصا بحياة شخص مثل هذا . ولكنى بكل اخلاص لا اعتقد ولا استطيع

(١) تاليف ادوارد مارجوريبا طبعة ١٩٢٩ نكر ص ١٦٠ و ١٦١ .

ان اعتقد انه قتل زوجته. ورايي الخاص فى هذه القضية انه ذهب فعلا الى يارموث ، وانه كتب فعلا هذا الخطاب وانه خرج مع زوجته وشرب معها ولكنه بعد ذلك اوصلها الى قرب مسكنها فى الساعة العاشرة والنصف او الحادية عشرة الا ربعا وتركها هناك ، ثم قابلها شخص افاق فاستهواه شعرها الذهبى وسلسلتها الذهبية فاصطحبها الى الشاطىء لاغراض خسيسة .. وهناك قاومته فقتلها)

هذا هو الرأى الذى كان يعتقده محامى المتهم ، ومع ذلك فسنرى فيما يلى المجهود الذى بذله هذا المحامى ليؤيد رايه وليجعل المحلفين يشاركونه هذاالرأى .

حاول الاستاذ مارشال هول ان يدحض قرينة ضبط السلسلة الذهبية والساعة الفضية عند المتهم بان اسمع المحكمة شهودا قالوا ان المجنى عليها كانت عندها سلسلتان ذهبيتان متشابهتان وساعتان فضيتان متشابهتان كذلك . واخذ يستنتج من ذلك انه ولو ان البوليس ضبط عنده السلسلة والساعة الا انهما ليستا القطعتين اللتين كانت القتيل تلبسهما ليله مقتلها

وفى سبيل اثبات هذه النقطة ايضا استمسك برأى الخبراء الذين قالوا ان تكبير الصورة الفوتوغرافية التى وجدت فى مسكن المجنى عليها أثبت أن السلسلة الذهبية التى كانت تلبسها فى هذه الصورة هى غير السلسلة التى وجدت فى حيازة المتهم . وهذا يؤكد انه كانت عندها سلسلتان . فمن الجائز اذن أن المتهم كان قد استولى منها على احداهما وأن القاتل الذى هو غير المتهم قد انتزعها من رقبتها بعد ارتكاب الجريمه .

وتعلق الدفاع تعلقا شديدا بنقطة هامة اخرى . فقد حدث بعد وقوع الجريمه باربعة ايام أن تقدم الى البوليس رجل اسمه المستر اودريسكول وهو صاحب مكتب لمراهنات السباق يقول ان رجلا بادى التهيج جاء الى مكتبه وابتاع جريدة فيها أنباء عن هذه الجريمة وكان يقرؤها بحالة انفعال شديد . وكانت احدى



وصاحت الزوجة الرحمة ... الرحمة ... (ص ٤٠)

فردتى حذائه من غير رباط ويطل لسانها منها . واعطى له اوصافا ظهر انها غـير وصاف هربرت بنيت .

لهـذه الشهادة اهمية كبرى كما يرى القارىء ، فلو اقتنـع المحلفون بها لكانت ذا ت شأن فى براءة المتهم لانها تثبت أن شخصا غير المتهم جاء الى مكتبه فى حالة تهيج يسـأل عن جريدة فيهـا تفصيلات عن الجريمة ويقرؤها بانفعال وليس فى احدى فردتى حذائه رباط . وهذا معناه ان القاتل شخص آخر غير المتهم .

ويحسن ان نورد فيما يلى : أقوال هذا الشاهد : —

« فى حوالى الساعة التاسعة او التاسعة والنصف من مساء ٢٦ سبتمبر جاء الى مكتبتى رجـل يلبس معطفا رماديا طويلا . وقد لاحظت انه بينما احدى فردتى حـذائه محـكمة الرباط ، كانت الاخرى بغير رباط ويطل لسانها منها .

« وكانت عـلى وجهه آثار خدوش مضت عليها ايام .

« وطلب جريدة فيها أخبار عن جريمة يارموث فسألته اذا كان يطلب احـدى صحف لنـدن أو جريدة محلية فقال ان المهم عنده هو صحيفة فيها تفاصيل الجريمة فاعطيته نسخة من جريدة (ستار) وبينما كان يفتش فى جيوبه عن ثمنها لاحظت عـلى يديه آثـار جروح .

« وتنـاول الصحيفة بسرعة وجعل يقلبهـا بحثا عن أخبـار الجريمة فاشرت له على مكانها فأخذ يقرؤها باهتمام شديد . وأثناء قراءته كانت تصدر منـه أصوات تشـبه الزمجرة وكانت يداه ترتجفان ، ولمـا التفت الى ورآنى أراقبـه طوى الصحيفة بسرعة واندفع خارجا .

وقال هـذا الشاهد بعد ذلك انه ذهب الى البوليس بعد دقائق وأعطى أوصاف الرجل ، وروى ما حدث .

وبعد أن انتهى من شهادته نطق السير مارشال هول عـلى نقطة آثار جروح فقام وقال : — (هل لى أن ألفت نظر الرئيس الى ان رجل البوليس الذى اكتشف الجثة شهد بأنه لاحظ وجود آثار تدل على صراع شديد يائس فى المكان الذى كانت فيه الجثة ؟)

ولكن المستر تشارلس جيل ممثل النيابة الساهر قام بدوره وقال : —

— ان شهادة الطبيب أثبتت أنه لم توجد على اظافر القتيل او تحت أظافرها علامة تدل على آثار جلد لرجل ولكن المحامى لم يقبل هزيمة سريعة كهذه الهزيمة فأسرع يطلب الطبيب . وناقشه فى رأيه وانتهى الطبيب بأن قال أنه وجد رمالا على يدى المجنى عليها وان من المحتمل أن تكون الرمال قد أزالت من أظافرها آثار الجلد الذى خدشته .

قال الاستاذ هول فى مرافعته تعليقا على شهادة هذا الشاهد : —

« هل لديكم أدنى شك فى صدق شهادة اودريسكول ؟

« لقد ناقشه المستر تشارلس جيل ممثل النيابة الذى يكاد يكون ابرع مناقش للشهود بين رجال النيابة ، فلم يستطع أن يهز أساسها بشكل ما .

« وانه لمن الواضح ان هذا الشاهد قد أدرك أهمية ماسمع وما رأى بحيث أنه أسرع مباشرة الى تبليغ البوليس عما حدث فى مكتبته .

وقال أيضا تعليقا على نقطة وجود سلسلتين وساعتين عند المجنى عليها : —

« بقيت مسألة السلسلة الذهبية والساعة الفضية . وانى لموقن من أن هذا الرجل اذا كان هو القاتل واحتفاظه مع ذلك بالسلسلة والساعة كان خليقا به أن يقاد الى أول مستشفى للمجاذيب . . اذ يحتفظ فى حيازته بقطعتين هما شاهدا جريمته .

« ان السلسلة التى كانت تلبسها المرأة فى الصورة الفوتوغرافية هى غير السلسلة التى ضبطت فى حيازة المتهم .

« هل لديكم شك فى شهادة المسز كانو التى قالت ان المجنى عليها كانت عندها سلسلتان وساعتان وان احدى السلسلتين كانت تقليدا للاخرى اشترتها لتلبسها بدل الحقيقية ؟

« بل لاتقبلوا غير شهادة أبصاركم . فانكم اذا نظرتم الى الصورة الفوتوغرافية بأدق منظار تخرجه مصانع انجلترا ، فسوف

تقتنعون بأن السلسلة التى تلبسها صاحبة الصورة تخالف السلسلة التى ضبطت عند المتهم . »

وقال أيضا عن شهادة المسز كانو وهو يقدمها الى المحكمة قبل سماع شهادتها : —

« ستقرر المسز كانو التى كان المتهم والمجنى عليها يسكنان فى بيتها أن المسز بنيت كان عندها سلسلتان وساعتان وان احدى السلسلتين كانت ذهبا حقيقيا ولما كانت قديمة العهد وسهلة الكسر فان المجنى عليها أخبرت المسز كانو انها قد اشترت سلسلة أخرى تقليدا للاولى لكى تستطيع أن تلبسها .

« وستنبئكم الشاهدة أيضا بأنه حدث فى احدى المرات أن الساعة الفضية انكسرت فأرسلتها المجنى عليها لاصلاحها وأخذت تستعمل ساعة فضية أخرى .

« وستنبئكم كذلك أن الطفل اعتاد أن يعبث بالساعتين ويعضهما »

* * *

وتعلق محامى المتهم أيضا بنقطة لا تقل فى اهميتها عن النقطتين السابقتين اذ تقدم شاهد محترم يشهد بأنه فى ليلة الجريمة قابله المتهم ، ولم يكن يعرفه ، فى مكان بعيد عن مكان الجريمة وفى ساعة وقوعها ولبث معه وقتا ، بحيث يكون من المستحيل — اذا صحت هذه الشهادة — أن يستطيع المتهم ارتكاب الجريمة قبل أو بعد هذه المقابلة .

فلنسمع الى المحامى وهو يقدم هذا الشاهد الى المحكمة :

« سأستدعى أمامكم الآن المستر شولتود دوجلاس الذى سيخبركم عن احدى المصادفات الخارقة .

« هذا السيد خرج يتريض سيرا على قدميه فى مساء ٢٢ سبتمبر ، فقابله رجل وسأله عود ثقاب ليشعل سيجارته . وعندما اشعلها اخذ يبادله الحديث ، ولم يستطع الشاهد أن يتخلص منه . وهذا الشخص سوف يقرر الشاهد انه هو المتهم .

« تحدث المتهم الى الشاهد فقال انه يشتغل فى ترسانة وولويتش وانه زار ايرلنده ، وعندما وصلا الى احد المحلات العمومية وهو مقهى او حانة تسمى حانة النمر اشار المتهم الى دكان مواجه لهذه الحانة قائلا . ها هنا شخص يحمل اسمى فوق صالون للحلاقة — فنظر المستر دوجلاس الى عنوان الدكان فوجد مكتوبا عليه اسم بنيت ، ومن هنا عرف الشاهد اسم المتهم .

« سيخبركم المستر دوجلاس ايضا : انه كانت هناك سيارة عامة تقف خارج الحانة ومنها عرف الوقت الذى كان المتهم يحادثه فيه اذ ان السائق سال قراض التذاكر عن الساعة فانباه هذا بانها السابعة .

« وسينبئكم المستر دوجلاس ايضا كيف عرف أن مقابلاته للمتهم كانت فى يوم ٢٢ سبتمبر اذ انه فى ذلك اليوم عقد صفقات مع مزرعة كان قد أوقف التعامل معها منذ سنين . وهذا ما ثبت التاريخ فى ذاكرته .

« ثم كانت تهويلات الصحف عن الحادث مما لفت انتباه المستر دوجلاس . فاولا اسم بنيت ، ثم التاريخ ثم ترسانة وولويتش . ثم زيارة ايرلندة .

« ليس من المعقول أن تكون هذه الاشياء كلها محض مصادفة وليس معقولا ان يكون هناك رجلان اسمهما بنيت يشتغلان فى ترسانة وولويتش وزارا ايرلنده .

« لهذا راى المستر دوجلاس أن من واجبه أن يتصل بمحامى المتهم ، وعندما استجوبه المحقق اعطى اوصاف الرجل الذى قابله وحادثه . ثم سرعان ماميز المتهم لاول ما رآه .

وقال السير مارشال هول ايضا فى مرافعته الختامية : —

« ان هذا الشاهد ليس له من غرض فى اختراع شهادته ، فلم يكن يبحث عن الاعلان عن نفسه ولكنه كرجل امين جاء لينجد آدميا وضعت راسه فى كفة الميزان »

« فهل لديكم ادنى شك فى صدق هـذه الشهادة التى لم تستطيع مناقشة النيابة ان تنال منها أى منال ! »

« وانتهى السير مارشال هول من مرافعته فقام المستر تشارلس جيل ممثل النيابة فالقى مرافعة ختامية يرد بها عليه ويهدم بالمنطق القوى دفاع المتهم ، والى القارىء فقرات منها : —

« يبدو لى بعد مرافعة المستر مارشال هول ان من الضرورى ان اعيد الى اذهانكم صورة كما تقدمها النيابة .

« لم يكن هناك غموض يحوط جريمة يارموث ، واذا كان المتهم هو صنف الرجل الذى وصفه محاميه نفسه فانه اخلق الناس بارتكاب هذه الجريمة .

« كان المتهم حريصا اشد الحرص على أن تجهل اليس ميدوز كل شىء عن زوجته وطفله فعمل على أن يتخلص منهما .

« ان قوة القضية لا تستندعاى شاهد واحد ولا على حقيقة واحدة ،، ولكنها تقوم على الحقائق كلها متجمعة .

« لقد وضعنا عدة اسئلة حيوية لم نسمع اجابة عنها . اين كان المتهم فى ليلتى ١٥ و ٢٢ سبتمبر ؟ وكيف حصل على الساعة والسلسلة اللتين ضبطتا عنده بعد القبض عليه ؟ — اذا لم يكن المتهم هو الذى قتل زوجته فى ٢٢ سبتمبر فمتى علم ان زوجته قتلت ؟

« لماذا لم يقم المتهم باى تحريات عن مكان زوجته وطفله

« ان من الواضح ان الجريمة مسبوقة بتدبير محكم . فمن الذى دبرها ؟ من صاحب الدافع الى التخلص من هذه المرأة ؟ أى شخص تسببت له المجنى عليها فى اذى ؟

« لقد تعرف المتهم الى اليس ميدوز فى شهر يوليو الماضى . وتبادلا وشكا عواطف الحب واصطحبها الى يارموث والى ايرلنده ثم طلب يدها .. وكان من الطبيعى ان يخفى عنها انه متزوج وله طفل ، وذلك الى ان يتخلص من زوجته .

« متى علم هذا الرجل اذن ان زوجته قتلت اذا لم يكن هو الذى قتلها ؟

« لقد نشرت الصحف عن هذه الجريمة دعاية واسعة عرف بها كل الناس ... فهل وجد من لا يعلم بها غير المتهم ؟او هل كان المتهم يعلم ان زوجته قتلت وانه قاتلها ؟ »

وانتقل النائب بعد ذلك الى شهادة المستر دوجلاس فقال : —

« ان المتهم استطاع اخيرا أن يسمعنا شاهدا جاء فى الساعة الرابعة والعشرين ليثبت وجود المتهم فى مكان الحادثة وزمانها وتاريخها ...

« ان من المدهش ان المتهم لم يذكر شيئا عن واقعة مقابلته للمستر دوجلاس هذا مع انها ذات اهمية له .

« ولم يثبت ان احدا ما رأى المستر شولتو دوجلاس بصحبة المتهم ... وكل ما ادلى به هناليس سوى اوهام كونها من المعلومات التى قرأها فى الصحف ... والا فهل من المعقول ان الرجل الذى كانت لديه نقود تسمح له بالسفر الى ايرلندة والاقامة فى الفنادق .. هل هذا الرجل هو الذى يتطفل على شخص من الريف لا يعرفه ويثقل عليه من اجل ان يدعوه هذا الى كأس من الشراب ؟

* * *

وبعد ذلك لخص الرئيس القضية للمحلفين وفوضهم فى اصدار القرار فانسحبوا الى غرفه المداولة خمسا وثلاثين دقيقة وعادوا فنطقوا قرارهم بادانة المتهم ، ثم اصدر الرئيس حكم الاعدام .



قضية «لاندرو» السفاح الفرنسي

كانت « مدام كولومب » امرأة تحسدها صديقاتها ويغبطنها على مرحها وذكائها ورشاقتها وحسنها وبالرغم من قيام الحرب العظمى ، فان الحياة كانت تبدو كأنها تسير معها فى خطى رخية هنيئة

كانت تشتغل عاملة على الآلة الكاتبة فى احدى الشركات ، وكانت حالتها المالية جيدة ولحسابها فى البنك رصيد بمبلغ عشرة آلاف فرنك

وكان أبواها يعبدانها ، واختها الصغرى كانت تعتبرها أمها الصغيرة ، وبعد أن توفى زوجها – وكان يعمل فى تجارة الحرير فى مرسيليا – عادت الى باريس ، وصاحبت رجلا اسمه المسيو برنار وعاشت معه . ولكنها ، فى أعماق نفسها ، لم تكن مطمئنه ، فهى ولو أنها كانت تتزيى بزى شابه صغيرة ، وتبدو فعلا كأنها كذلك ، الا أن سنها الحقيقية كانت أربعا واربعين سنة

كان صديقها قد بدأ يضجر ، وبدأت هى تدرك أن ليس لها أن تعتمد عليه لانه لم يكن ليقبل الزواج بها ، فنظرت الى الامام ورأت ماينتظرها من سنوات الشيخوخة ، فاقشعرت لما رأت

وفى أول مايو سنة ١٩١٥ قرأت مصادفة فى صحيفة «لوجورنال» الاعلان الآتى :–

« أرمل فى الثالثة والاربعين ، له طفلان ، ودخل مربح ، وهو رجل جاد عطوف ، ويختلط بطبقة محترمة ، يريد أن يلقى ارملة ترغب فى الزواج منه » .

قامت فى الحال فأجابت على هذا الاعلان ، واعطت [illegible]

التفاصيل عن نفسها وثروتها وعائلتها ، وقالت أنها فى التاسعة والعشرين

وبعد فترة قصيرة تسلمت خطابا من رجل اسمه المسيو كيشيه ، قال عن نفسه انه مدير مصنع فى مونمارتر . وواعدها على اللقاء . وتقابلا

كان الرجل نحيفا أصلع ، وله ذقن حمراء طويلة كان فخورا بها ، وكانت له هيئة الرجل الممتاز وكان فى أول الامر متحفظا مفرط التأدب . وكانت عيناه اعجب مافى خلقته اذ يطل منهما السحر والمغناطيسية والسيطرة .

أعطاها عن نفسه من التفاصيل ما اطمأنت اليه . . كان مهاجرا بين مهاجرى الحرب من بلدة « ركروا » . وكان مهندسا اضطر أن يترك أعماله كلها قبل تقدم الجيوش الالمانية ، ولكنه استطاع أن ينشىء أعمالا جديدة فى باريس . وقال لها أيضا أن له سيارة ، وشقة فى باريس وبيتا صغيرا اسمه (فيلا ارميتاج) فى جامبيه وهى ضاحية من ضواحى باريس ، وانه يرغب فى حياة الاستقرار ولذلك نشر اعلانه للزواج

استطاع الرجل الاصلع ذو الذقن الحمراء أن يجذب السيدة ويكسب قلبها بسلوكه المهذب نحوها . لم يكن رجلا عاديا ، بل كان جنتلمانا مهذبا ، وطيبا ، وذكيا ، وله هيئة الرجال العارفين بأسرار الحب !

سرعان ماتبدد التحفظ ، فبدأ يستعمل لغة الهوى وكان يتقنها وذاب قلبها تحت حرارة عباراته ، وفى هذه السن التى يذبل فيها القلب عادة ، عاد غرام مدام كولومب اشد مايكون التهابا . .

تتابعت بينهما المقابلات ، ولكن العلاقات فترت حينا من الزمن ، اذ كانت أمام المسيو كيشيه عدة مهام أخرى . اذ جاءته اجابات عديدة على اعلانه ، فلم يجد فى وسعه أن يولى هذه السيدة المتدلهة فى حبه كل ماتتطلبه من عطف واهتمام

ولذلك مرت سنة قبل أن يستأنفا علاقاتهما ، كان هو فى

خلالها قـد افرغ يده من عـدة مؤامرات أخـرى وتخلصت هى من المسيو برنار

أخذها معه لتزور منزله الصغير فى ضاحية جامبيه فأعجبت به ، ثم صارا خطيبين ، ودعته طبعا لتقدمه الى أهلها ، ولكنه مانع فى ذلك أول الامر وقال انه يريدها هى وليس أقاربها . فلما ألحت عليه قبل ، وخرج من هذه الزيارة بشعور النفور من امها ، وخاصة من أسئلتها عنه وعن أعماله

وبعد ماخرج من بيت اهلها ، أخذت مدام كولومب تسأل امها رأيها فيـه ، فأبدت الام عـدة ملاحظات وقالت أن سـنه لم تتناسب مع سن ابنتها ، وانها لم تهضم أسـلوبه فى الحديث عن الشئون المالية ، وعنـدما سألت ابنتها عما اذا كان هذا الرجل قد استولى منها على مبلغ من النقود تهربت من الاجابة عـلى السؤال

ولكن شيئا من هـذا لم يكن يطفىء من هوى مدام كولومب وعندما جاءها « كيشيه » يحرضها على أن تهجـر شـقتها وتنضم للاقامة معه فى بيته قبل زواجها ، قال لها أن من الحمق أن ينفقا عـلى شقتين ، فرفضت أولا ، ولكنها وافقت فى النهاية ، وسمحت له بتخزين أثاثها .

وفى نوفمبر سنة ١٩١٦ هجرت بيتها فى شارع روديه . وذهبت لتعيش معه فى شارع شاتودان وكانت تبدو سعيدة جدا . وقبل عيد الميلاد بأيام قليلة استقالت من وظيفتها قائلة انها ستتزوج فى الاسبوع التالى

وفى ٢٤ ديسمبر دعت شقيقتها لزيارتها فى فيلا ارميتاج فى ضاحية جامبيه

أعجبت الفتاة بالمنزل ، وعاملها كيشيه - وكان اسـمه فى تلك الناحيـة هو المسيو فريميه - باحترام شديد . فعادت الى باريس وقد امتلأت شعورا طيبا نحوه ، خصوصا بعد أن أخبرتها شقيقتها وأكد لها هو ، انهما سوف يسارعان بعقد الزواج

وفى عيد الميلاد ، تناولت مدام كولومب طعام الغداء مع أمها ، واخبرتها بانها ستتزوج قريبا ،وسترحل معزوجها الى (نيس) وقالت أنها ستعود فى خلال يومين لتخبر والديها بما يجد من اجراءات مشروع الزواج . . . وخرجت .

ومنذ هذا اليوم لم تعد . . . اختفت نهائيا . ولم تستطع أسرتها أن تعثر على أى أثر لها أوللرجل . . اختفى أثاثها ، كما اختفى كل رصيدها فى البنك . كتبت شقيقتها اليها واليه فى جامبيه ولكن لم يصلها جواب ، فاضطرت أن تكتب الى العمدة تشرح له هذه الظروف وتسأله اذا كان فى استطاعته أن يكتب اليها عن مكان وجود المسيو كيشيه وكيف يمكن الاتصال به . .

كان العمدة قد تسلم قبل ذلك بقليل خطابا من فتاة اسمها (لاكوست) تعمل خادمافى باريس كانت لها شقيقة اسمها مدام بويسون ذهبت تزور فيلاارميتاح مع رجل اسمه (مريمييه) ثم اختفت ، تحروا عن ساكن هذا المنزل فوجدوا أنه استأجره باسم المسيو ديبون . وعندما بحثوا عنه وجدوا أنه قد اختفى كذلك ، فاقترح العمدة أن تتصل عائلتا المرأتين المختفيتين

اتصلت عائلة مدام كولومب بالآنسة لاكوست ، وقارنا ملاحظاتهم ، فتطابقت أوصاف الرجلين (كيشيه وفريمييه)مع الاوصاف التى أعطيت عن مستأجر فيلا ارميتاح المسيو ديبون كأن الثلاثة رجل واحد .

ذهبوا الى البوليس ، الذى اهتم بأقوالهم نظرا الى أنه تلقى قبل ذلك عدة بلاغات عن نساء اختفين بنفس الطريقة

كانت القضية من نصيب المفتش (آدم)البوليس السرى ، وسرعان ماتوصل الى أن كيشيه وفريمييه وديبون كانوا رجلاواحدا . وفى ١٠ ابريل سنة ١٩١٩ صدر الامر بالقبض على هذا الرجل . وفتشت فيلا ارميتاح عبثا . وبث حول الفيلا بعض رجال البوليس للقبض عليه اذا عاد اليها .

وفى اليوم التالى لصدور أمر القبض كانت الآنسة لاكوست تسير فى شارع ريفولى فى باريس فرأت فجأة الرجل الذى يبحثون عنه ، يصطحب فى ذراعه شابة أنيقة الملبس

دخل الاثنان الى احد المطاعم فتبعتهما لاكوست ، وسمعت فريمييه يأمر بارسال طعام العشاء اليه فى مسكنه . وحاولت أن تتابع اقتفاء أثره بعد الخروج من المطعم ، ولكنه غاب عنها وسط الزحام فهرولت الى اقرب نقطة للبوليس واسرع رئيس البوليس يقبض على مفتاح القضية ، وعلم من المطعم ان العشاء المعد قد امر به رجل اسمه « لوسيان جيبه » فى شارع روششوار . اما الفتاة التى معه فكان اسمها الآنسة (فرناند سجرية) وكانت فى السابعة والعشرين من عمرها وقالت عن نفسها انها مغنية ، وكانت شقراء ، قصيرة القامة ، نحيلة وجميلة . وقد قالت فيما بعد عن هذا الرجل (ليس عندى ما ألومه عليه . لقد احببته من كل قلبى . وكنت معه سعيدة جدا . جدا)

فى الساعة السابعة من صباح ١٢ ابريل ترك المسيو لوسيان جيبه شقته ليشترى احدى الصحف ثم عاد .

وبعد لحظات سمع باب شقته بقرع ففتحه بنفسه . وفى لمح البصر دخل اثنان من رجال البوليس فألقيا القبض عليه ، واحتج هو بشدة قائلا : « انا لوسيان جيبه ، ومولود فى مدينة روكروا فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٤ » ، وعندما اخبروه بأنه متهم بالقتل بدا كأنه بوغت وقال : «ان هذا شنيع ان تتهمونى بالقتل . ان هذا رأس رجل» . وعندما استجوبوه قال : «لن أتكلم الا بحضور احد المحامين » . واتبع بعد ذلك سياسة الصمت المطبق الذى اتعب المحققين .

فتشوه فعثروا فى جيبه على مذكرة جيب صغيرة بذل مجهودا يائسا للاستيلاء عليها بعد اخذها منه . وكانت هذه هى مذكرة الجيب المشهورة التى كان لها شأن كبير فى القضية .

اخـــيرا جعل ينـــظر حوله فى أنحاء الغرفة النظرة الاخيرة . وبدأ يغنـــى بعض ســـــطور من الاوبرا المشهورة (مانوليسكو) ومنها هذه العبارات : —

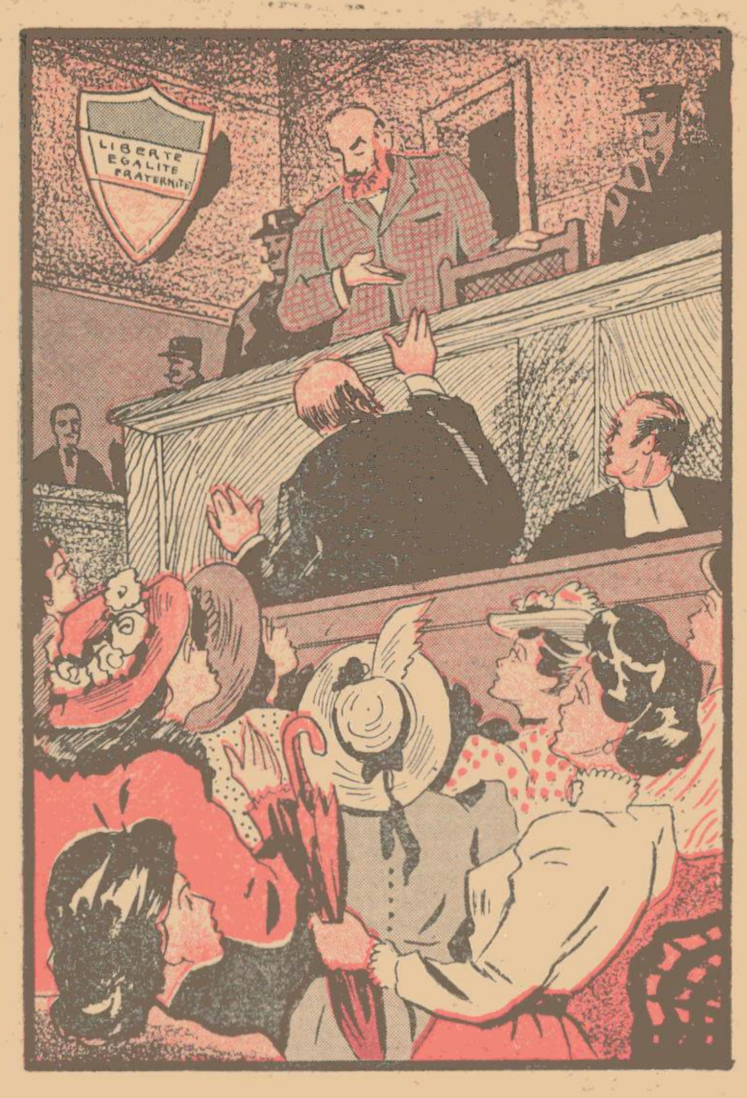
(وداعا يا مائدتنا الصغيرة . كانت لنا كأس واحدة . وكان كل منا ، عنـــدما يشرب يبحث عن شفتى صاحبه . آه يا صديقى المسكين . كـــم كـــان يحبنى . وداعا يـــا مائـــدتنا الصغيرة . الوداع) .

اتضح من البحث على ماضى هذا الرجل بعد ذلك انه مجرم هارب من وجـــه العدالة اسمه (هنرى ديزيه لا ندرو) الذى بد حياته الاجرامية فى سنة ١٩٠٠ حيث حكم عليـــه بالحبس ثلاث سنوات فى جريمة نصب ضد ارمل اتفق معهـــا عـــلى الزواج . وفى ســـنة ١٩٠٤ حكم عليـــه ايضا بالحبس سنتين فى جريمة نصب اخرى . وفى سنة ١٩٠٦ حكمت عليه محكمـــة الســـين بالحبس ثلاثة عشر شهرا فى جريمة ايضا ، وفى ســـنة ١٩٠٦ حـــكم عليه بالحبس ثلاث سنوات فى جريمة خيانة الامانة . وفى سنة ١٩١٠ حكم عليـــه بثلاث ســـنوات فى جريمة نصب . وفى يولية سنة ١٩١٤ هرب من وجه البوليس الذى كان يبحث عنه للتحقيق معه ى جـــريمة نصب ايضـــا . وحكم عليه غيابيا بالحبس اربـــع سنوات وبالنفى الى غينيا الجديدة

اخذه البوليس الى ضاحيـــة جامبيه حيث فتشت الفيلا فى حضوره ، وتجمع القرويون فى فضول ودهشـــة ، وسرعان ما ميزوا المقبوض عليه أنه المسيو ديبون

ولكن رجال البـــوليس لم يعثروا على شىء فيما عدا جثث ثلاثة كلاب مدفونة فى الحديقة . وقال لاندرو — وسنسميه مـــن الان بهذا الاسم — انه كان يملك هذه الكلاب ، ولكن احد المتجمعين صاح بصوت مرتفع . ليس هذا صحيحا . فهذه الكلاب كـــانت لسيدة صغيرة شقراء جاءت معه

ومن جامبيه ، نقل لاندرو الـــى ســـــجن مـــــانت وفى نهاية ابريـــل نقـــــل الى سجن لاســـــانتيه فـــى باريـــــس



ـ اذا كانت احلى اولئك السيدات تود ان تأخذ مكانى فانى اقدمه اليها راضيا (ص ٧٦)

ذاعت اخبار لانــدرو والتهم الموجهة اليه ، فأثارت عاصفة من الاهتمام ، وابتدأت دور النيابة والبوليس تفيض بالبــلاغات عن نساء مختفيات واخذت الاشاعات المعتادة تذيع عن عــدد الضحايا حتى قيل ان لاندرو قتل ثلاثمائة امــرأة ، وسرعــان ما اخـــذت الجماهير تخلع عليه القابا طريفة منها (زير نســاء جاميبه .) و (الرجل ذو المائة زوجة والمائة اسم) ..

بــدأ البــوليس تحقيقاته باستجواب لاندرو نفسه . ولكنه لزم خطة الصمت التام . وعندئذ اخذوا يفتشون البيوت التى كان يسـكنها ، فعثروا عــلى ملابس داخليــة نسوية وعليهــا علامات بالاحرف الاولى من اسماء النساء اللاتى ظن انهن ضحاياه ، ولــم يعثروا بعــد ذلك الا على بعض خرق وحــذاء امــرأة ، وبعض الاثاثات وشعر مستعار واوراق تحمل أولئك الضحايا

وفى فيــلا ارميناج وجدوا فى احدى الغرف فــرنا هو الفرن الذى قالت النيابة فيما بعد انه كان يحرق فيه جثث ضحاياه ، ولاحظوا على الرمال كذلك بعض بقــع قالوا انهــا آثار دماء ..

وعنــدما فحصوا بعــض الاتربة ورماد الفرن وجدوا عدة مئات من قــطع عظمية صــغيرة قــرر الخبراء الطبيون انها بقايا عظام آدميه لثلاثه اشخاص على الاقل .. وان كان من غير الممكن الجزم بما اذا كان هؤلاء الاشخاص رجالا أو نساء

وجدوا فى المذكرة ذات الغلاف الاسود التى عثروا عليهــا معه عدة اســماء مكتـــوبة بالقلم الرصاص . وهذه هى الاسماء :-

(كيشــيه . ج بريزيــل . كروزاتييه . هافز . بويسون . جوم . باسكال . مارشادييه)

هذه الاسماء هى قائمة النساء العشر اللائى اختفين ، ومعهــن ابن احداهن ، فى ظروف يرجح معها ان لاندرو قتلهم

وقد استعملت المــذكرة ذات الغــلاف الاســود فى كتــابة الحســابات اليــومية للايــراد والمصروف . وعندما حلت دلالة هذه الارقام ، اتضح انــه عندما كانت تــذهب احــدى السيدات الى فيلا ارميناج فى ضاحية جامبيه وتختفى كان لاندرو يشترى فى

المترو تذكرتين احداهما للذهاب والاياب . والاخرى للذهاب فقط ، ويكتب اجر التذكرتين من محطة باريس الى المحطة القريبة من حامبيه

وبجانب ارقام التذاكر وجدت ارقام اخرى رجح انها الساعات التى تم فيها قتل الضحايا

كان لاندرو يباشر ارتكاب جرائمه وحده ، ولم يستطع البوليس أن يهتدى حتى الى شريك واحد له فى جرائمه . كانت له موهبة الصمت والوجوم، وكان وضيعا جشعا فوق ما يتصور العقل .

وجدوا ايضا عدة اعلانات للزواج فى صحف باريس كان هو الذى نشرها . واتضح ان سبعة من هذه الاعلانا تاتت اليه بمائتين وثلاثة وثمانين جوابا رتبها كلها فى ملف خاص على طريقة رجال الاعمال . وكان يكتب عليها تعليقات . مثل :-

للاجابة فى صندوق البريد . او بلا نقود . او بلا أثاث . او لا اجابة . او للاجابة بالاحرف الاولى فى صندوق البريد . او ثروة محتملة . او للحفظ مع تحريات اخرى ...

وقد اتضح انه اتصل بمائة وتسع وستين امرأة منهن . ولف بعناية اوراقا فيها تحريات واسعة عنهن وعن اولادهن وثروتهن واقاربهن وغير ذلك . وتصيد البوليس اكثر هؤلاء السيدات ، ولم يستطع أن ينال منهن معلومات ذات اهمية ، وبعضهن قلن انه سرقهن تحت وعد بالزواج

اربعة من المختفين عرفوا وهم مدام كولومب ، ومدام كيشيه وابنها ، ومدام بويسون . فمن هن الباقيات ..

تقدمت بعض جارات هؤلاء السيدات بأوصاف عنهن ، قلن أنهن زرن الفيلا ولم يشاهدهن احد بعد ذلك . وسئل حوذى كهل نقل فى عربته بعض الزائرات الى الفيلا . وامكن بالتدريج معرفة شخصيات باقى الضحايا

ماذا حدث للنساء المختفيات وللشاب ..

انهم وان يكونوا قد غابوا عن الانظار ، فليس من الضرورى ان يكونوا قد قتلوا ، فربما يكون لاندرو قد عذبهم واخفاهم فى مخبأ ما ، وربما يكونون قد اختفوا بارادتهم ، وربما يكون هذا الرجل من تجار الرقيق الابيض وقد قدمهم لبعض البيوت القذرة

كان التحقيق عسيرا وشاقا نظرا الى التزام المتهم خطة الصمت المطبق ، وبعد نشر اسماء النساء المختفيات والشاب جاءت الى البوليس تقارير كثيرة كان اغلبها مزيفا كتب لمجرد العبث

فهل احرق هذا الرجل ضحاياه فى الفرن ..

أجرى البوليس عدة تجارب فى هذا الفرن على جثث بعض الحيوان . ولكن بدون نتيجة . ونزحت البرك القريبة من الفيلا الملعونة ، وقبلت اقوال كثيرة منها ان احد المهندسين قال انه شاهد رجلا يوقف سيارته على بعد كبير منه ، ثم سمع صوت القاء شىء ثقيل فى الماء ، وقالت بعض السيدات انهن رأين مرة شيئا يطفو على سطح احدى البرك ثم غاص فى القاع فى اليوم التالى .. ولكن كل هذا لم يات بنتيجة .

كان من ضمن ماكتبه لاندور فى مذكراته ثلاثين سطرا ظهر انه كتبها فيما بين سنتى سنة ١٩١٦ و١٩١٧ ضمنها بيانا عن الصعوبات التى تصادفها العدالة فى تمييز جثث الغرقى ، وكتب أمثلة لبعض القضايا

وكان هناك اشتباه كبير فى ان لاندور قد قتل ايضا امرأة اسمها مدام بنوا وهى ارملة اختفت فى تاراسكون ، وعثر البوليس على جثتها فى نهر صغير ، ولكن البوليس قبض على القاتل الحقيقى وظهرت براءة لاندور من هذه التهمة

❊ ❊ ❊

يظهر مما تقدم قدر الصعوبات التى عاناها البوليس للكشف عن هذه الجريمة الغامضة ، ولم تلبث القضية ان احيلت الى محكمة

التحقيق ليتمه وليجعل القضيةصالحة للنظر امام المحكمة

كان قاضى التحقيق فى قضيةلاندور هو المسيو يونان ، وتساعده مجموعة من اقدرخبراء الجرائم فى فرنسا ، فبذلوا عبثا كل محاولة فى نصح المتهم بالاعتراف . او حتى بالاجابة

كانت طريقة لاندور فى غاية البساطة . لا اعرف شيئا ... ليس عندى ما اقول

ولم يكن يتكلم او يجيب الافى الموضوعات التافهة . أما فى الباقى فكل مايقوله هو : ـ ليس عندى ما اقوله . لا اعرف . انى برىء . انكم انتم الذين تتهموننى . عليكم انتم ان تقيموا الدليل ... !

لم ينكر علاقته باكثر النساء اللاتى اختفين . وعندما سئل عما يعرفه الآن عنهن اجاب كأنه رجل نبيل : ـ

ـ انى رجل شريف ، ولااسمح لكم بتوجيه اسئلة عنهن، فاذا كن قد اختفين ، فليست لى علاقة بذلك ، لا اعرف مصائرهن اكتشفوا الادلة ، هاتوا برهانكم وعندئذ سأفحصه معكم . انى برىء ، وعليكم ان تثبتوا التهمة !

ان بساطة طريقته هى كل قوته ، وكان احيانا يعبث بالمحقق ويداعبه ، وقدشهد احدالشهود مرة ان لاندورهو الرجل الذى رآه يخرج مع احدى المختفيات ، وكانت الشهادة ضعيفة ولا قيمة لها ، ولكن المدهش انه بدا على اندرو انه انزعج منها . وبعد ان خرج الشاهد تفرس قاضى التحقيق فى لاندور وقال له بصوته القوى .

ـ يبدو لى ان حملا ثقيلا يبهظ ضميرك . فما هو ؟ .. ثق بى ..

فكانت اجابة لاندور : ـ

ـ ياسيدى القاضى . انى رجل كسير القلب اذا فكر فى انه بسبب هذه القضية علمت زوجتى انى كنت اخونها ..

وكان التحقيق يستمر ساعات طويلة من أول النهار الى آخره. وفى النهاية كان القاضى المحقق المنهوك القوى يصيح فيه يائسا:

ـ ألن تقول شيئا ..

فيجيبه . ـ لاشىء. فيصيح القاضى . اخرجوه

استمر قاضى التحقيق يحقق من شهر مايو سنة ١٩٢١ الى سبتمبر سنة ١٩٢٢ أى ستة عشر شهرا . واستغرق التحقيق سبعة آلاف صحيفة . ولذلك نجتزىء مثالا واحدا :ـ

فلنأخذ مثلا مسألة اختفاء مدام مارشاديه .

فى شهر يناير سنة ١٩١٨ كان لاندرو مفلسا خالى الوفاض، وتراكمت عليه الديون وعجز عن السداد فتعرف بمدام مارشاديه وأخذها فى منتصف يناير ومعها كلباها الى حاميه . وقضيا هناك يومين ، وقال الشهود انهم لاحظوا لمعات غريبة للنور فى مطبخ الفيلا فى ذلك الوقت ،وعاد لاندرو الى باريس وحده. واختفت صديقته ، وذهب هوالى مسكنها فى شارع سان جاك ونقل جميع أثاثها وباعه ، ثم سدد معظم ديونه

ووجه لاندرو بشهادة الشهود فقال :ـ

ـ لن اجيب

المحقق ـ فلننظر . مثلا هنا خطابات كتبتها اليك مدام مارشاديه . كنت تقابلها كثيرا والخطابات تتحدث عن رحلات اتفقتما عليها . هذه الرحلات وقفت فجاة . لماذا ..

لاندرو ـ انى أكرر ياسيدى القاضى انى لن اجيب على اسئلة تتعلق بحياتى الخصوصية

المحقق ـ انك اصطحبت مدام مارشاديه فى ١٣ يناير . وبعد هذا لم يعثر لها على اثر . فماذا حدث لها ..

لاندرو ـ ليس عندى ما اقوله

المحقق ـ لقد نقلت اثاث بيتها فى ١٤ و١٥ يناير . لماذا..

لاندرو ـ هذا شىء يخصنى

المحقق ـ ألا تريد الاجابة ..
لاندرو ـ ليس عندى ما اجيب به .
المحقق ـ انت قاتل
لاندرو ـ انك تقول هذا ،فاثبت ، انظر ، تحر ، حقق ، خيل ، ولكن اثبت اذا كنت تستطيع .. وعندما واجهه لمحقق بتقارير الاطباء الشرعيين الذين فحصوا رماد الفرن وقالوا ن قطع العظام والاسنان التى عثروا عليها انما هى بقايا جثث مية . قال له : ـ انك تسأل عن البراهين ، فهاكها
هز لاندرو كتفيه وقال : ـ ليس عندى ما اقوله .

* * *

قدم لاندور أخيرا الى المحاكمة بتهم السرقة والتزوير والقتل أمام محكمة جنايات سين اتوازوأدخل سجن فرساى انتظارا للمحاكمة

ومن الطريف ان نذكر هنا ان ساعى البريد كان يحمل اليه كل يوم رزما من الخطابات وتذاكر البريد . منها خطابات غرامية عديدة من نساء مجهولات .

كان يراس المحكمة المستشار (جيلير) وهو قاضى قوى وممتاز . وكان يمثل النيابة الافوكاتو العمومى الاستاذ جودفروى من أشهر رجال القانون فى فرنسا .

واختار لاندور للدفاع عنه ابرع وأشجع محام فى فرنسا فى المسائل الجنائية . وهو الاستاذ (دومورد جيافيرى) (١) الذى كان يتقدم للدفاع عن أى متهم يؤمن بعدالة قضيته مهما واجه من سخط الرأى العام وغضبه . ويكفى أن نقول انه الذى تولى الدفاع فى قضية الوزير الفرنسى المشهور

(١) ظل نقيبا للمحامين حتى سنة ١٩٣٦

كايو (٢) (وهمبر) المتهمين بالخيانة العظمى فى الحرب الماضية

وكان مشهورا بمرافعاته التى تحرك القلوب . ولكنه قبل أن تبدأ محاكمة لاندورو قال لبعض اصدقائه انه سيكون هادئا وباحثا علميا لا خطيبا .

ومثل بعض كبار المحامين بعض المدعين بالحق المدنى من أهل النساء المختفيات

❊ ❊ ❊

وبلغ اهتمام الجمهور أقصى درجات الحماسة ، وكان السماح بحضور الجلسة مقصورا على حاملى البطاقات . ولكن البطاقات التى صرفت كانت اكثر بكثير من عدد المقاعد ، فتدفق الناس تدفقا شديدا الى القاعة يتدافعون بالايدى وبالمناكب وبالصياح لاحتلال المقاعد الامامية ، وتعلق نساء كثيرات بالنوافذ ، واحتلت أخريات مقاعد الصحفيين ولم يمكن اقصاؤهن عنها . وعندما ظهر لاندرو حيوه بصياح شديد ، ووقفوا على أطراف اصابعهم يحدقون فيه ويشرئبون بأعناقهم نحوه وكان الجالسون والواقفون فى الخلف يصيحون فيمن أمامهم يطلبون جلوسهم ليأخذوا نصيبهم من التفرج على الوحش الاسير ...

بدأ الافوكاتو العمومى فأشار الى القبض على لاندرو وما أحدثته اذاعة التهم الموجهة اليه فى الرأى العام من الاشمئزاز والفزع .

كان كل فرد يتساءل . كيف يمكن أن ترتكب هذه الجرائم

---

(٢) حكم على كايو بالنفى الى احدى المستعمرات . وكان هذا الرجل هو الحجة الوحيد فى الشئون المالية والاقتصادية . ولما واجهت فرنسا ازمتها المالية فى سنة ١٩٢٥ احتاجت اليه فصدر عنه العفو وأعيد الى بلاده وانتخب فى مجلس الشيوخ رئيسا للجنة المالية . ولعل من المهم أن نقول ان مناقشات حامية قامت بينه فى احدى الجلسات وبين رئيس الوزارة (ليون بلوم) تسبب عنها استقالة هذه الوزارة

فى ايامنا هذه ... وكيف يمكن ان يختفى هذا العدد من الضحايا من غير أن يتركوا أى أثر .. كيف يستطيع مجرم أن يعيش كل هذا الزمن طليقا يرتكب عمل الموت فى هدوء ومن غير قلق ..

أمثل هذه الجريمة ممكنة .؟

« داخل الشك الراى العام حتى قيل ان هذه القضية نظمتها الحكومة لتبعد الاهتمام عن معاهدة السلام التى كان يخشى الا تحقق كل آمالنا من النصر ، ولكنى أؤكد ان كل جرائم لاندرو كانت حقيقية وليست من بنات الخيال .

« بدأ لاندرو حياته الاجرامية محتالا . ولكن لما عرضته أعماله للسجن ، ترقى فصار قاتلا .

فعندما اكتشفت مدام كيشيه ضحيته الاولى انه كان متزوجا ورب عائلة ، أدرك أنه سيأتى يوم تبلغ فيه عما ارتكبه ضدها من النصب والسرقة وعندئذ يقع فى قبضة البوليس الذى كان يجد فى البحث عنه . ومنذ هذه اللحظة نبتت فى رأسه هذه الفكرة الخبيثة التخلص منها .. وهكذا تتابعت بقية الجرائم

والتفت الافوكاتو العمومى الى المحلفين صائحا :ـ

« ان أمامكم قاتلا بلغت قسوته ووحشيته أقصى قدر الطاقة الآدمية . انه يركع فى الكنيسة كقديس بجانب احدى خطيباته وبعد ساعات يكون منحنيا فوق جثتها وهو يمزقها اربا ... ثم يذهب هادىء النفس والضمير يريح رأسه فوق صدر عشيقة أخرى !

« كيف كان يقتل » وكيف كان يتخلص من جثث ضحاياه . .

« هذان السؤالان تعترف النيابة بكل أمانة أنها لاتستطيع أن تجيب عنهما . . ولكن الم نر فى طول هذه المحاكمة بعض ضحاياه يبرزون من لحودهم ليشهدوا أعضاءهم المحترقة فى **فرن** **حامبيه** . . »

ثم انتقل الى القسم الثانى من مرافعته فذكر المحلفين بأن برهان الجريمة انما هو حقيقة أو مجموعة من الحقائق تؤدى كلها الى تأكيد ادانة المتهم ، وأخذ يسرد الادلة التى عبأتها النيابة ضده وهى : —

١ — ان الاوراق ومذكرة الجيب التى وجدت مع لاندرو فيها قائمة بأسماء مائتين وثلاث وثمانين امرأة اتصلن به بالمراسلة ، وان مائتين وثلاثا وسبعين منهن وجدن على قيد الحياة . واختفى عشرة .

٢ — ان مذكرة الجيب ذات الغلاف الاسود تشير الى انه كان يشترى فى المترو تذكرة ذهاب فقط لكل منهن فى نفس اليوم الذى تختفى فيه بينما كان يشترى لنفسه تذكرة للذهاب والاياب . وكذلك تشير المذكرة فى نفس اليوم الى ساعة من النهار هى الساعة التى تلاقى فيها الضحية حتفها .

٣ — ان لاندرو كان يتبع طريقة واحدة يبت بها الروابط بين المرأة المختفية وبين أقاربها وأصدقائها

٤ — وأخيرا الاساليب التى كان يتبعها ليوهم الناس ان المرأة المختفية مازالت على قيد الحياة فمثلا بعد خمسة عشر يوما من اختفاء مدام باسكال تسلمت أختها منها خطابا كان لاندرو قد غير تاريخه . . الخ

ثم قال : —

« والآن يتبقى لى — قبل أن أصل الى تقارير الخبراء التى ستمدكم بآخر أسباب الادانة — يتبقى لى حيازة لاندرو للاشياء التى كانت تملكها الضحايا

« فلنفرض أن شخصا ما » سافر بعيدا لاجل ما — مهما يكن هذا الاجل — فأنه لا يترك الاشياء التى يمكن نقلها ، ولا يتخلى عن الاشياء التى قيمتها الوحيدة أنها تمثل بعض الذكريات وكذلك لا يترك الوثائق العائلية والاوراق المثبتة للشخصية .

« لقد قالت شقيقة مدام كيشيه وهى تخاطب لاندرو — لو أن شقيقتى على قيد الحياة ، فأنها ما كانت تتردد فى المجىء لتنقذ رقبتك من المقصلة ولو كانت فى آخر الدنيا . . لانها كانت تحبك

« ولكن مدام كيشيه لم تحضر ياحضرات المحلفين .. ولم تحضر واحدة أخرى من الباقيات . . وعند هـذا المتهم وجدنا أخص وثمن مايمتلكن . »

وأخذ الافوكاتو العمومى بعد ذلك يصف تفتيش الفيلا يوم ١٣ ابريل سنة ١٩١٩ وأبدى أسفه على أنها لم تختتم بعد التفتيش وقال أن مالا ينكر ان ذلك لم يطابق أحكام القانون ، وانه وافق الدفاع تماما فى هذه النقطة . ولكنه عاد يلتمس لرجال البوليس العذر فى ذلك فقال انهم فى هـذا الوقت كانوا يبحثون عن جثتين وهمـا للمرأتين اللتين حصـل التبليغ عن اختفائهما أول الامـر فلما لم يجدوا شيئا رأوا أن من العبث اجراء بحث آخر . ومع ذلك فان الاختام وضعت قبـل التفتيش الثانى الذى تم فى ٢٩ ابريل والذى عثروا فيه على قطع من عظام آدميه فبعد هذا ليس للاندرو أن يشكو اليوم من مؤامرة رتكبها البوليس أو أى أحد آخر . وناشد المحلفين ان يرفضوا أى دفع من هـذا النوع يقدمه الدفاع

ثم قال : —

« فما هى الاعتراضـات التى يستطيع لاندرو أن يثيرها ضـد ابحاث الاطباء الشرعية ..

« ان اكتشاف قطع من العظام الآدمية خارج بناء منزل منعزل .. ليس بالمسألة الهينه . وعندما نعلم أن هذا المنزل كان فى حيازة مجرم عائد ، عنده كل الاسباب التى تحمله على أن يأخـذ حذره من التفتيش المحتمل ، فاننا نستطيع ان نستنبط أن هـذا الرجل قد اتخذ كل تحوط فدمر وأحرق كل مايمكن أن يؤدى الى التحقق من شخصيات ضـحاياه . الرأس واليدين والقدمين .. ففى حاميه وجدت بقايا ثلاثة رءوس وخمس أقدام وست أيد »

وأتى بعـد ذلك عـلى تقارير الخبراء ، وانتهى الى القسم الاخير من مرافعته قائلا : —

« فيما يخصنى ، ان عنـدى الاعتقاد العميق الـذى لايتزعزع



وبلغت وحشيته اقصى قدر الطاقة الآدمية فج



من عشر حسناوات وقودا للفرن (ص٧١)

فى أن هذا المتهم هو القاتل الحقيقى لعشر نساء وغلام . . فباسم هؤلاء أطلب القصاص

« أى مصير تدخرونه له . .

« انى كخادم للقانون ، جئت هنا أطلب أن تطبقوا عليه أقصى العقوبة . لاتبحثوا عن ظروف مخففة . . لاشفقة . أن الموت هو القصاص الفذ لهذه الجرائم البشعة التى ارتكبها مدفوعا بأحقر البواعث . . بواعث الطمع الذى أكسبه خمسة وثلاثين الفا من الفرنكات ، وجعله يرتكب فى هذه الحقبة الدامية من الزمن أفعالا وصلت الى أقصى غايات القسوة فلكى يعيش على هامش المجتمع لم يتردد فى أن يخرب ويدمر كل شىء .

« لقد ارتكب احدى عشرة جريمة قتل بكل هدوء . وبطريقة واحدة ، وبنفس التدبير . .

« سائلوا انفسكم ، من من بيننا يدعى لنفسه الحق فى أن يصدر قضاءه على آخر . . لقد قال لامنيه (انى ليتملكنى الجزع عندما أفكر فى أن هناك انسانا يصدر قضاءه على آخر)

« ولكن الحقيقة قائمة امامكم ، وليس يداخلنى أى شك ، وانى لاعلن ذلك بكل مافى وسعى من قوة . . والخطأ القضائى مستحيل فى هذه القضية

« انى هنا لاؤدى واجبى ، مقتنعا فى أعماق ضميرى ، وانى فى اقتناعى ، محمل باحساس رفيع بأهمية واجبى نحو المجتمع

« انى لاطلب حكما بالادانة لكل التهم بدون ظروف مخففة . . أطلب أقصى العقاب . . . الموت للاندرو وسفاح جامبيه . . . لارحمة ولا شفقة . انه مسئول عن كل أعماله بلا عذر . وقد شهد الاطباء بذلك كما ثبتت قدرته التى تبدت فى المناقشة أمام قاضى التحقيق دليلا على ادراكه . . . انه لم يرحم ضحاياه فلماذا نرحمه . .

« الموت الموت . . صدقونى ، انه الجزاء الوحيد الخليق بجرائمه والكفارة الكافية عنها . .

« أن من الخير أن ترتفع سن المقصلة عندما يكون ذلك لازما لطمأنينة المجتمع وأمنه . . لقد آمن بهذا وأعلنه فولتير وروسو . وقال منتسكيو العظيم فى كتابه (روح القوانين) أن المواطن يستحق الموت اذا أزهق روحا . ان عقوبة الاعدام هى الدواء للمجتمع المريض

« انى أتوسل اليكم . . . لاترددوا . اضربوا بلا وهن . أن هذا السفاح ليس له من عذر . أن لاندرو سوف يعيش فى تاريخ الجريمة كمزهق لاحدى عشرة روحا آدمية .. قتل لكى يسرق

« انه يميز الحق من الباطل .. هو . الذى خدم فى صباه فى كنيسة لويزآن ليل . فمن ربه الذى قضى فى بيته حقبة من عهد البراءة .. من هذا الرب وحده يمكنه ان يسأل المغفرة التى لاتستطيع العدالة الانسانية ان تمنحه اياها الا اذا تخلت عن واجبها نحو المجتمع

« انى ادعوكم ياحضرات المحلفين ان تؤدوا واجبكم للمجتمع كاملا

* * *

جلس الاستاذ جودفروى وسط همهمة من عبارات الاعجاب والتأييد ، وسرى بين النظارة احساس بان هذه القطعة الفنية قد سحقت المتهم وتكاد تعجز عن الرد عليها ..

وكانت صيحاته بطلب الموت للاندرو مازالت تدوى فى الآذان عندما نهض الاستاذ دومورو جيافيرى ليقدم مرافعة الدفاع . وفى خلال خمس دقائق كانت مرافعة الافوكاتو العمومى قد نسيت تماما عندما تدفق محامى لاندرو بواحدة من أندر وأعجب المرافعات التى رددتها قاعات المحاكم الفرنسية فى أيامنا هذه .

وفى اليوم الاول ترافع الاستاذ دومورو جيافيرى ثلاث ساعات مرتجلا من غير رجوع الى أية مذكرة ، ومن غير تردد امام اسم او تاريخ . ولم يتم مرافعته الا فى اليوم التالى . وعندما انتهى

منها خيل الى الجميع انه مهمايكن الحكم ضد لاندرو فانه لن يكون الاعدام

بدأ المحامى العظيم يدافع عن لاندرو اذ رفض الكلام عند استجوابه ، وقرأ النص القانونى الذى يبيح للمتهم ان يجيب او لايجيب خلال التحقيق وقال « ان هذا الرجل له الحق بمقتضى القانون فى أن يجيب او يصمت . فمن ذا الذى ينكر عليه هذا الحق .. »

ثم التفت الى الافوكاتو العمومى وصاح بصوت ملىء بالعاطفة :

« بينما كنت ياسيدى الافوكاتو تسأل المحلفين حكما بالادانة بلا رأفة .. بينما كنت تقول انك لاتعتقد باحتمال وقوع خطأ قضائى فى هذه القضية ، كنت ارثى لحالك ... لقد قلت لهم يمكنكم ان تقتلوا هذا الرجل بضمير مطمئن ، انى مقتنع باجرامه

« انت مقتنع ! أليس كذلك . . فهل نعتقد ان كل اولئك الذين طلبوا قبلك ، من فوق مقعدك السامى الحكم بالاعدام ، لم يكونوا أيضا مقتنعين ..

« ومع ذلك فانك تعلم كم من امضاءاتهم التى مهروا بها طلبات الاعدام ، قد حسبت — بعد ايمان صادق مثل ايمانك — كأخطاء قضائية ... ولكن بعد ان سبق السيف العدل . انى أفهم كيف كان قلبك يدق تحت ردائك الاحمر وانت تتكلم !

« حضرات المحلفين . كونوا على حذر من هذا الايمان الزائف .. فليست المسألة مسألة ايمان .. بل برهان

« انى اطلب منكم ان تعلنوا بضميركم وبحرف القانون — مهما تكن نظرتكم الى هذا الرجل — ان هذا الملف المعطى لكم لايمكن ان يدينه ، لانه لايتضمن دليلا على القتل .. يجب ان تنالوا الدليل الذى يتكىء عليه اقتناعكم

« انه يقول لكم ، اضربوا ، اخربوا هذا القاتل .. فهل قال لكم كيف .. وأين .. وفى أى الظروف . . ولاى الاسباب

ارتكبت جريمة القتل .. لا . انه يعترف باننا لانعلم ... النيابة لم تستطع ان تنبئكم بذلك فى قرار الاتهام ... وهنا اضطروا الى الاعتراف بذلك .

« لم يسبق مطلقا ياحضرات المحلفين ان ثبت الشك بمثل هذا التبجح .. ان النيابة تسألكم ان تعاقبوا جرائم هى نفسها تعترف انها لاتعرفها ولا تستطيع اثباتها كما يتطلب القانون ان تثبت .

« لقد خاب سعيك ياسيدى الافوكاتو العمومى .. براهينك أين هى ·· انها براهين حامييه · الدخان والفرن والمذكرة والبرميات . أليس كذلك . . سأريكم ان هذه هى براهين البراءة

« ان شهادة الشهود التى قدمتموها ليس فيها دليل واحد على الادانة . ولذلك فانك لم تقتنع . انك لم تجرؤ حتى على افتراض نظرية كيفية ارتكاب هذه الجرائم ، فكل ماقلته لهذا الرجل هو (تكلم وربما يعفى عنك .. والا فالمقصلة .) القانون يقول للاندرو (يمكنك ان تلزم الصمت) ·· أن واجبك ياسيدى ان تعيد له قولة القانون . فهل فعلت .. لا .

« لقد لوحت للمتهم بمنظر الدم الذى يخضب المقصلة . لقد اريته الثقب الذى توضع فيه رأس المحكوم عليه قبل ان تسقط من فوق كتفيه .. لقد قلت له . تكلم .

« ان آباءنا ياحضرات المحلفين قاموا بالثورة فى هذه البلاد لينشئوا حقوق الحرية ، وأحد هذه الحقوق ان تلزم الصمت امام الاتهام ... قد يكون لاندرو محتالا .. وصاحب سوابق ، ولكن هذا لن يؤثر فى حقه فى ان يرفض الاجابة التى حاول الافوكاتو العمومى ان يقهره عليها

« فاذا قررتم ان لاندرو يستطيع ان يلزم الصمت ، فلا يبقى للنيابة الا الافتراض وان تقيم عليه قضيتها

« وليس الافتراض الوحيد فى قضية لاندرو هو القتل ، فهناك احتمالات كثيرة سأريكم اياها .

« وليس عندى ما اثير به حماسة الجماهير ، فلست اعرف فى هذه القضية الا المحلفين

« ان النيابة نفسها ، بينما تقول ان هؤلاء الاحد عشر شخصا قد اختفوا ، تقرر ان من المستحيل عليها ان تقول كيف اختفوا ، ومتى ، ولماذا واين اختفوا ..

« فلنرجع الى المادة ١١٥ من القانون المدنى وما بعدها . فتبعا للقانون ، ان من الخطر اعتبار الغيبة نهائية لشخص مفقود الا بعد مضى فترة طويلة

« فلنفرض ان لاندرو نفسه مات ، هنا لن يسمح بتسليم شىء من متعلقات النساء المفقودات الى اقاربهن . القانون لا يسمح لعائلاتهن باعتبارهن متوفيات قبل ثمانية عشر عاما (هكذا فى المرافعة)

« واجب ان يعارض عائلات المفقودات اذا طلبوا ذلك .

« هذا الواجب سيكون من نصيب الافوكاتو العمومى نفسه. نفس الرجل الذى كان يطلب الآن فقط بكل مايملكه من الفصاحة ان ترسلوا لاندرو الى المقصلة لانه قتل هؤلاء النسوة.

« سيكون على الافوكاتو العمومى ان يقول عندئذ . (لقد اعلنت امام محكمة جنايات فرساى ان مدام باسكال قد قتلت ، ولكن القانون يلزمنى ان اقول لكم انها ليست متوفاة — انها على قيد الحياة) ..

« ان القانون المدنى يعلن ان أية شهادة ليست بكافية لاعتبار هؤلاء النسوة متوفيات والذين شرعوا هذا القانون كانوا يعلمون ان الحياة شديدة التعقيد بحيث يكون من الحمق أن تجعل من مفاجآتها نظريات مقبولة أو غير مقبولة ... كانوا يعلمون كم يجوز ان تكون المصادفة هى القناع الاليم للخطأ . ومع ذلك فالاحتمال الذى يفضله القانون عند وجود نزاع على بضعة

مليمات ، هو نفس الاحتمال الذى يسألكم الافوكاتو العمومى ان تعتبروه عندما تكون راس رجل فى كافة الميزان .. فهل علينا ان نقدر للمتاع ثمنا أغلى من الحياة ..

« القانون صريح فى هذه النقطة . الشخص المفقود ليس ميتا . والموت لا يتقرر الا عند وجود جثة . وقد اعلن القنصل فى اثناء تحضير القانون المدنى ان الغائب ليس ميتا . ومع ذلك فانك انت ياخصمى العزيز . انت ياممثل النيابة الذى ستقول ان هؤلاء الضحايا المزعومين ليسوا متوفين .. ستحرم على هؤلاء الوالدين ان يلمسوا شيئا من بضع مئات الفرنكات والامتعة المتروكة .. انك انت الذى تجىء فترافع من اجل قرار مناقض للقانون عندما يختص الامر برأس آدمى ، لا ببعض الامتعة البالية »

* * *

وفى اليوم التالى أخذ الاستاذ دومورو جيافيرى يفحص شهادة الخبراء فقال :

« بدلا من أن تكتشفوا الجثث تأتون الينا بتقارير الخبراء ... الذين هم آفة العدالة والخطر الذى يتهددها »

أعطى الاستاذ عدة أمثله لاخطاء قضائية جسيمة وقعت بسبب شهادة الخبراء ، ولم تكتشف هذه الاخطاء الا بعد فوات الوقت . ففى خلال موقعة فردان فى الحرب العظمى الماضية مثلا حكم بالاعدام على جندى فرنسى اتهم بأنه جرح نفسه تهربا من الخدمة فى الميدان ، واتضح بعد تنفيذ الحكم وتشريح الجثة ان هذا التعيس كان فعلا قد أصيب برصاصة المانية . وهنا قال :

« وهكذا بسبب خطأ من طبيب . يسقط أحد الابطال كشخص جبان . »

« وفى سان مالو فى احد أيام سنة ١٩٠٩ وجد على الشاطىء هيكل عظمى . ولما استدعى طبيب محلى قال انها جثة فتاة صغيرة يحتمل ان تكون هوجمت وقطعت بحد

مبراة . وبعد يومين تقدم رسام اسمه ايميه مورو وقرر ان الجثة هى جثة قرد شمبانزى كان قد رماها فى النهر

« ان الخبراء فى هذه القضية لم يفحصوا قطع العظام فحسب ، ولكنهم حللوا الرماد أيضا . واستطاع احدهم أن يقول ان هذا الرماد يحتوى على ٥٠٪ من الفوسفات بينما النسبة العادية هى عشر هذه النسبة . أفليس الصحيح ان تركيب الرماد يتوقف بالضرورة على المادة المحترقة .. فالرماد المتساقط من فروع الاشجار يحتوى على ٩٪ الى ٣٨٪ من مادة الفوسفات . فهل بحث الخبراء عما اذا كان لاندرو قد أحرق خشبا .. لا . ومع ذلك فانه فعل »

وتكلم بعد ذلك عن آراء الخبراء فى العظام المكتشفة فقال انه يرفض أن طبيعة هذه العظام طالما انها لن تكتشف فى الوقت الذى يجب أن تكتشف فيه . وانتقد التحقيقات التى اجريت فى حامبيه . فأولا فى ١٣ ابريل سنة ١٩١٩ فتش المسيو دوتل قوميسير البوليس الفيلا ولم يجد شيئا ، وبعد ستة عشر يوما أى فى ٢٩ أبريل اكتشف الرماد الذى يحتوى على العظام الآدمية وأثبتت فى المحضر وجمعت ... وفى خلال هذه الفترة كانت الفيلا مفتوحة لكل من أراد أن يدخل وقال :

« لم توضع الاختام فوق الفيلا يوم ١٣ كما كان الواجب أن توضع .. ومع ذلك فقد وجدت فى ٢٩ ابريل أختام مكسورة كانت قد وضعت فى ٢٥ ... ان صداقتى لك يا خصمى العزيز تلزمنى بأن أقرر أنك لا تستطيع أن تدين لاندرو على أساس هذه التقارير لانها بنيت على مخالفات للقانون ... ولا أزيد »

وانتقل الاستاذ الى مناقشة التقارير فقال ان لاندرو لم يكن عنده وقت لاحراق احدى عشرة جثة . وضرب أمثلة مشابهة لجرائم احرقت فيها الجثث فقال :

« ان كرارا أخذ أربعا وعشرين ساعة ليحرق جثة الغلام الذى قتله . وقال مسيو حيار الذى كان

مربى ولى عهد روسيا وهو يتحدث عن مصرع العائلة المالكة الروسية ، أن الصلبان التى شدوا اليها أغرقت بأكثر من مائة جالون بنزين ، واستغرق احراق الخشب أكثر من ثلاثة أيام حتى تلاشت نهائيا . وفى قضية « بل » احرق الاستاذ بروناردل جثة فى فرن مشابه لفرن لاندرو فى أربع عشرة ساعة حتى اختفت .. »

« فماذا يبقى من قضية النيابة .. يبقى هذا ...

« انه اذا كان هؤلاء النسوة أحياء فأنهن يجئن لينقذن هذا الرجل من المقصلة . ولكنهن لم يجئن . ولهذا فأن المطلوب منكم أن تقرروا انهن توفين . وان تقبلوا كدليل على اجرام لاندرو انه وجدت فى حيازته الاوراق المثبتة لشخصياتهن .

« لماذا لم تتكلم النساء المفقودات .. لان كلا منهن اعتمدت بلاشك على الاخرى لانقاذ لاندرو ولم تشأ احداهن أن تتحمل المسئولية وتعانى سخرية الناس

« صدقونى . لو أن لاندرو قتل هؤلاء النسوة ، لما وجدتم فى حيازته هذه الوثائق التى ليست لها أدنى قيمة والتى تظلله بالشبهات . فاذا كان قد قتلهن واحتفظ مع ذلك بهذه الاوراق فانه يكون مجنونا ، فاذا لم يكن مجنونا فانه ليس قاتلا »

وناقش المحامى بمنتهى العنف شهادة جيران الفيلا عن الدخان الكثيف المتصاعد من المدخنة ، والروائح الكريهة وحكاياتهم عن اخلاق لاندرو الغامضة وزائريه المشبوهين ، وقال ان هذا كله ليس سوى ابتكار خيالى وثرثرة أهل القرية التى لايجب أن تؤخذ مأخذا جديا . وقدم مثلا لقصاب فى حاميه شهد بانه رأى من فوق جدار الفيلا فى مساء ١٨ يناير ١٨٩٨ وكانت ليلة غائمة كثيرة الضباب حزمة غامقة اللون وشم رائحة لحم يحترق . قال المحامى ان التقويم الذى فى يده يقول ان الجو فى هذا اليوم كان صحوا وكان القمر بدرا فى تمام استدارته .

وقال ان هذه الشهادة وامثالها لا يصح ان يعتد بها . وانتقل الى الشهود الصامتين وهم العظام والمذكرة فقال : —

« ان اساس اكتشاف العظام أمر مشكوك فيه ولا يصح ان تكن هذه العظام دليلا ضد المتهم الذى احتج فى جميع ادوار القضية على تفتيش مسكنه بالطريقة التى تم بها التفتيش

« فماذا من أمر المذكرة .. »

« ان تفسيرها الخيالى خلق من مخيلة النيابة اعتقادا ، ولكنه لا يثبت شيئا . بل قد يثبت العكس اذا وضعناها فى مجموعها موضع الاعتبار

« فبينما النيابة لا تقدم دليلا ماديا ، ولا شهودا يشهدون بان هؤلاء الاحد عشر شخصا قد قتلوا ، فأية نظرية اذن يمكن ان تكون اساسا للزعم بموتهم .. فهل قتلوا اغراقا فى الماء .. كلا . فقد نزحت جميع البرك ، او هل قتلوا احراقا بالنار .. كلا . لان الفحم الذى كان عند لاندرولا يكفى لاهلاك كل هذا العدد حرقا ، كما لم يكن عنده الوقت الكافى لذلك ؟

« فماذا اذن .. لماذا لا نضع افتراضا ابسط فنقول ان هؤلاء النسوة اللاتى قطعن تقريبا كل صلاتهن العائلية ، قد اختفين بمحض ارادتهن وذهبن ليضربن فى اعماق أمريكا

« دعونى أسألكم يا حضرات المحلفين .. الم تتعودوا رؤية رجل سيء السلوك فى حيازته مجموعة من الاوراق الخاصة بنساء .. انى اعرف امثاله . ودعونى اهمس لكم بكلمة واحدة .. ان اوراق النساء هى ترسانة التاجر فى اللحم البشرى وليست ترسانة القاتل .. يبدو لى ان لاندرو مشترك فى عمل غامض دعونى احدده فى كلمة حوشية صريحة .. المتاجر فى النساء »

وبعد أن افاض فى هذه النقطة ختم مرافعته بهذه العبارات القوية المؤثرة : —

« انى اتوسل اليكم الا تقدموا على ارتكاب خطأ يستحيل احلاله .. لقد اتممت واجبى ، وبقى عليكم ان تحكموا

« غدا . ربما تعود احدى هؤلاء النساء . وعندئذ اى ايمان في قلوبكم من القوة بحيث يمكنكم من ان تواجهوا النظرة المتحجرة التي يحدق بها فيكم الشبح الذى سوف يأتي اليكم بالليل قائلا - (اني لم اقتل . لقد قتلتموني انتم .) . . لا . لاتفعلوا هذا ، فاذا وجد شخص ما يوماما على هامش قراركم هذه بالاعدام ، وكانوا مخطئين) فان هذا شيء أجزع لمجرد تصوره »

* * *

هكذا انتهى المحامي الكبير من مرافعته ، ولسنا نزعم اننا بهذا التلخيص قد استطعنا أن نخلق الجو الساحر الذى خلقته عباراته البليغة وصوته العميق الكلمة المخيفة (لقد حكموا المؤثر والقائه المتين ، لقد قيل فيه انه لم يكن محاميا يترافع ، بل كان ساحرا يرتل التعاويذ وينشر السحر بعصا .

وبعد ذلك سأل الرئيس لاندرو اذا كان عنده ما يزيده دفاعا عن نفسه ، فوقف لاندرو وقال : -

« عندى بيان واحد . لقد خلع الافوكاتو العمومي على في مرافعته عدة خطايا ورذائل وجرائم ولكنه تفضل - واشكره على ذلك - فقال انه بقى لي احساس نبيل واحد هو عطفي على اسرتي وحبي لاطفالي وبيتي الذى هو اساس العائلة والمجتمع ، واني باسم هذا الاحساس اعلن اني لم اقتل احدا ابدا »

هنا كان الظلام قد بدأ يتسلل من الابواب والنوافذ ، وأمست قاعدة المحكمة أشبه بناد ليلي رخيص منها بدار العدالة

وكانت كتل عظيمة من الجماهير تنتظر في الخارج ، وزاد في ذلك اليوم عدد تصريحات الدخول زيادة كبيرة على عدد المقاعد ، وتزاحم حاملو هذه التصريحات - وكان اغلبهم من السيدات من جميع الطبقات - في حيثما وجدوا موضعا لقدم • وكانت بعض الممثلات الانيقات الصغيرات يحتللن كثيرا من المقاعد المختصة لمندوبي الصحف . وكان في الخارج سيدات مستعدات لدفع ثمن الى الحراس ليدعوهن يدخلن . رشونهم وتوسلن اليهم بلا جدوى • وعند ما رأى لاندرو تكاثؤ النسوة تمتم قائلا :

ـ اذا كانت احدى أولئك السيدات تود أن تأخذ مكانى فأنى أقدمه اليها راضيا .

وكان النظارة داخل القاعة قد جاءوا يحملون معهم رزما من الشطير والفواكه . واجهزة حفظ حرارة القهوة . وزجاجات الكونياك والروم . وتسلقت بعض السيدات ضلف النوافذ وجلس بعضهن على الحواجز الخشبية .

وانسحب المحلفون فى الساعة السابعة والنصف مساء . ولم يعودوا الا فى الساعة التاسعة . وخرج الكثيرون من النظارة ليستنشقوا هواء نقيا فى فترة الانتظار الطويلة

كان الناس يأكلون بشهية ويتناقشون فى الحكم المنتظر بحرارة . وفى اكثر انحاء القاعة كان من المستحيل على أى انسان ان يتحرك لشدة الزحام ، واغمى على بعض السيدات بتأثير الحر الشديد فكن يرتمين على ظهورهن حتى ينتعشن . واخذ رجل يقلد اذان الديك من قبيل المرح واحداث الضوضاء واقام المصورون مصباحا كهربائيا قويا موجها مباشرة الى المقعد الذى سوف يعود لاندرو الى الجلوس عليه عند النطق بالحكم

وأخيرا دق جرس يعلن عودة هيئة المحلفين . وحاول النظارة أن يتقدموا الى الامام . ووقف بعضهم مكان الآخرين وهم يصيحون محتجين .. اجلس . اجلس .

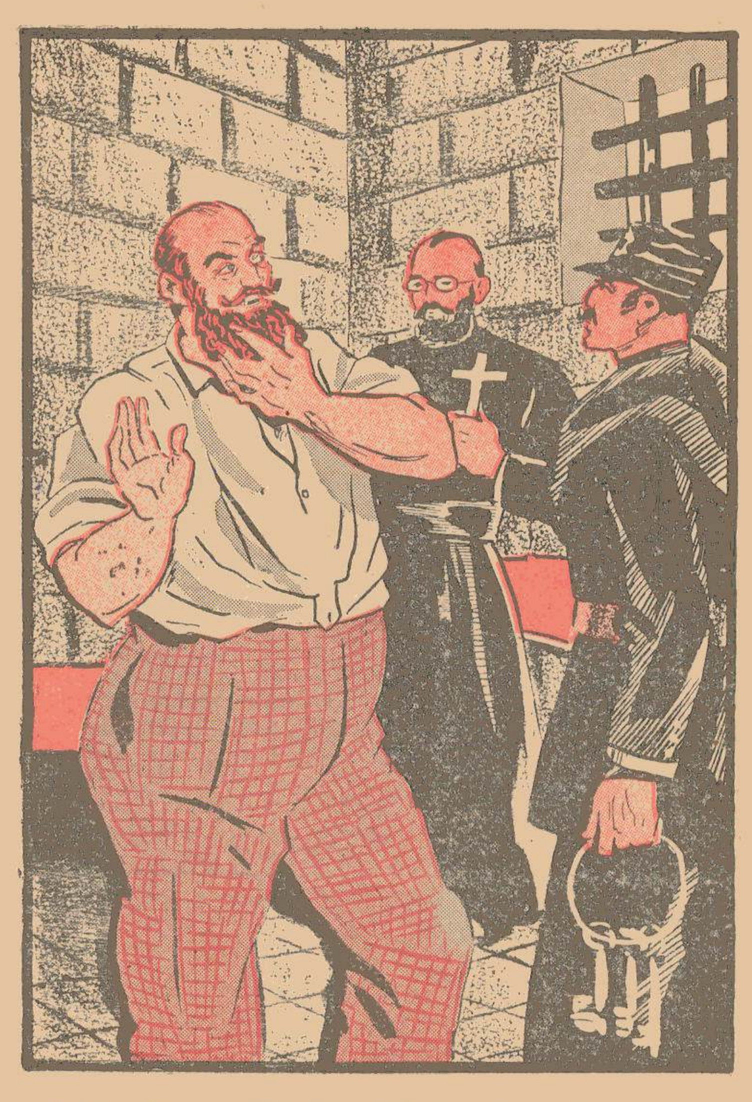
ودل وجه الاستاذ دومورو حيافيرى ــ وكان شديد العبوس ــ على الحكم المتوقع

أمر الرئيس بادخال المتهم . فزاد صياح الجماهير ، وحاول الرئيس ان يعيد النظام ، وسمع صوته وهو يؤنب الناس قائلا :ــ

ــ ان صياح الجمهور هكذا عار . وجبن . الستم تحملون فى قلوبكم ذروة من الشعور ..

واحتج الافوكاتو العمومى أيضا بكل قوة وكرر قوله :ــ

ــ الستم تدركون ان رجلا على وشك أن يحكم عليه بالاعدام



فتوسـل لاندرو ألا يزيلوا ذقنه فقد كانت هى فخره العظيم

(ص ٨١)

وعندما دخـل لانـــدرو الى القاعة اسرع اليه محاميه العظيم وقال له هامسا : ـ

ـ تشـجع . ان النتيجـة سيئة . سيئة جدا .

أجاب لاندرو قائلا :

ـ اطمئن يا أستاذ . لقـدأعــددت نفسى لسماع حـكم الاعدام .

وصدرقرارالمحلفين ـ بأغلبيةالآراء ـ بأدانة المتهم فى جميع التهم .

صح النـــاس عندما وقفلاندرو صيحاتالدهشة . ولكن وجهه ظل ينم على الهدوء .

كان قد هزل خلال المحاكمةالطويلة واصـفر لونه . وكان منظره يشبه طيراجارحا منهوكالقوى ولكن لم تبد على وجهه علامة واحدةعلى الاسف أو علىالجزع

وقام الاســـتاذان لوحاس وســـيركوف عـن المـدعين بالحق المـــدنى يطلبان فرنـكاواحـدا مع الامر بأعادة امتعة وأثاثات المجنىعليهن الى الورثة

وبينما كانالرئيس ومساعداهيتداولون ، بدا الرجل المحكوم عليه كان حملا ثقيلا انزاح من فوق رأسـه ، وكان يتكلم مع محاميه بمرح ، بل لقد شوهديبتسم ... وسمع يقول لاحد محاميه الاستاذ دى تروى :

ـ اليك الحكم يا أسـتاذىالعزيز ... ثلاث سـنوات من العمل ضاعت هباء . ومع ذلكثق بأنى سأنام الليلة أحسن من كل لينة مضت ...

وهذه السنوات الثلاث التىيشير اليها هى المدة التىمضت من تاريخ القبض عليـه حتىانتهاء المحاكمة ، وفى خلالها كان الاستاذ دوترى هوالذى ينسقالقضية ويهيىء الدفاع

ونظر لاندرو الى محاميـهالرئيسى الاستاذدوموروحيافيرى

بابتسامة خفيفة ، وكان المحامي قد غلبه الحزن والاسى لهذه النتيجة ، فشجعه لاندرو قائلا :

- انى حزين لاجلك . اهو المتهم الذى يعزى محاميه ..

وجد الافوكاتو العمومى احتجاجه مرة أخرى ضد صياح الجماهير ، ولكن أحدا لم يلتفت اليه .

وفى أثناء ذلك شوهد الاستاذ دومورو حيافيرى يسحب ورقة ويخط فيها التماسا بالرحمة . وذهب الى المحلفين يسألهم التوقيع عليها . وهذا هو نص الالتماس :

« هيئة محلفى سين اتوازالموقعين على هذا ، الذين أصدروا ضد لاندرو حكما بالادانة بدون ظروف مخففة ، يلتمسون الا ينفذ فيه حكم الاعدام ، ويستعطفون رحمة رئيس الجمهورية للتهم »

وافق المحلفون ووقعوا . ورأى الناس هذا فتهامسوا قائلين ان لاندرو نجا من الموت لان رئيس الجمهورية نادرا ما يرفض التماسا بالرحمة يرفع اليه من هيئة المحلفين

وانتقل المحامى الكبير الى محاميى المدعين بالحق المدنى وطلب اليهما أن يرجوا شقيقة مدام باسكال فى أن توقع هى أيضا ، فانفجرت السيدة باكية ، ولكنهم اقنعوها فاضافت اسمها الى قائمة المحلفين

وبعد ذلك نطق رئيس المحكمة بحكم الاعدام بالصيغة المعتادة وهى أن يقاد لاندرو الى ميدان عام وهناك تقطع راسه . كما حكم بطلبات المدعين بالحق المدنى

ونقل لاندرو الى سجنه الانفرادى . وهناك ذهب اليه محاميه ومعه التماس الرأفة ليوقع عليه ولكنه أجاب .

- انى أوقع على التماس بالاستئناف لا بالرحمة . لست أطلب رحمة ولا شفقة .

وعند مانظر اليه محاميه ووجهه يفيض بالاسى ، تفرس فيه بشجاعة وقال :

ـ سأنام الليلة هادئا ، كمـاكنت انام فى الليالى الخوالى ..
وزاره ولداه فى السجن مرتين

وكان سلوك النظارة فى المحكمة فضيحة اثيرت فى مجلس الشيوخ الفرنسى اعلن شـدة اشمئزازه منها . وكان من نتيجة هـذا ان تعدلت بعض اجراءات القانون ، فمثلا منع المصورون من الدخول الى قاعات المحاكم لالتقاط مناظر منها .

* * *

تضخم بريد لاندرو فى السجن وكانت بعض الخطابات المرسـلة اليه فى السجن فيها حملات شديدة عليـه ، فـكانت ادارة السجن تحجزها عنه ولا تطلعه عليها . اما باقى الرسائل فكانت مفعمة بالعطف وارسلت اليه سـيدات وفتيـات هدايا من الشـكولاتة والفطائر والحلوى .

كانت الايام تطوى بسرعة ، ولم يبق الا أمل واحد هـو رحمـة رئيس الجمهورية (١) وكان على لاندرو أن يرفع اليه التماسه ، ولكنه تمنع أول الامر ثم عاد فقبل تحت الحاح محاميه قائلا له : ـ
ـ انى افعل هذا فقط لاجـل خاطرك .

* * *

توالت على دور البوليس بلاغات مزيفة عن ظهور بعض النسـاء المختفيات ، فمثلا ورد الى محامى لاندرو خطاب بامضاء هيكـتور فيجورو يقول انه كان قـد راى شخصا يحمل عظاما من احـد البيوت وينقلها الى الفيلا ، فاجرى حول هذا الخطاب تحقيق واسع وتحريات كثيرة انتهت بالفشل وظهر أن مرسل الخطاب ليس الا مازحا .

وجاء خطاب غفل من الامضاء من مدينة مونتريال فى امريـكا

(١) كان رئيس الجمهورية الفرنسية فى ذلك الوقت هو المسيو مليران الذى عاد بعد ذلك محاميا ثم رئيسا للوزارة . وقد جاء الى مصر مرتين للمرافعة امام محكمة الاستئناف المختلطة . فى قضية شركة مصر الجديدة وفى قضية شركة قنال السويس

يقــول : ان مدام هيــون وهى احدى الضحايا ، فنت هناك ..
ثم اتضح انها ليست هى المرأة المقصودة

وفى أواخر شهر فبراير سنة ١٩٢٢ ذهب الاســتاذ انافيير دى تروى ودومورو جيافــيرى محــاميا لاندرو فقابلا رئيــس الجمهورية وبقيا معه اكثــر من نصف ساعة . وعندما خرجــا من عنده تحدثا الى الصحفيين آملين . وقالا ان المسيو ملليران بدا عليه انه تأثر

ولكن بعد ظهر اليوم التــالى أعلن ان الالتماس رفض

❊ ❊ ❊

لم يبق للاندرو ان ينتظر طويلا ففى الساعة الثالثة من صــباح اليوم التالى كانت فرق من جنود المشــاة والفرســان والبوليس يحتلون مراكزهم فى ميدان محاكم فرساى . وتدفق النــاس الى المدينة من كل حدب وصوب حتى من بلدان بعيدة مثل نيس لكى يشاهدوا المنظر الاخير من المأساة

وواصلت السيارات وصولها فى المساء .. واستأجرت نساء كثيرات غرفا فى البيوت المطلة على الميدان وظللن هناك ينتظرن حلول الساعة

ولكن فى هذه الليلة لم يكن الناس ليتسامح معهم فقد أزاحهم البوليس بعيدا وامر السيارات بالابتعاد ، وهاجم البيوت المطلة على الميدان فاخرج منها الغرباء حتى ولو كانوا نياما فى أسرتهم . اذا كــانوا يوقظونهم ويامرونهم باللبس والرحيل ، ولم يســمح لاحد من الاجانب بالحضور سوى رجال الصحافة

وكذلك أزالت فرق البــوليس الجماهير المتجمعة أمــام بــاب السجن . ثم سرعان ماوصــلت أجزاء المقصلة وأقامها العمــال على بعد أقدام من باب السجن

وبــين الســاعة الخامســة والسادسة تجمع رجــال الادارة والمحامون لزيارته الزيارة المعتادة الاخيرة ولم يكن غائبا عن هــذا الجمع الا رجل واحد هو الافوكاتو العمومى اذ اعتذر عن الحضــور وأناب المسيو بجان . وكان محاميا لاندرو فى انتظاره ليقفا الى جانبه حتى آخر لحظة

نظر اليهم لاندرو عند دخوله فادرك معنى هذا ـ الموت
أنبأهالمسيو بجان‌نائب‌الافوكاتو العمومى أن التماسه قد رفضه رئيس الجمهورية وقال له . . تشجع

فأجاب لاندرو : ـ

ـ انى متجلد

وسأله قسيسان حاضران عمااذا كان يود أن يعترف

فصاح لاندرو غاضبا :

ـ ابدا

ثم أضاف . ـ

ـ لاداعى لان اجعل هؤلاءالافاضل ينتظرون

وسأله المستر بجان اذا كان‌عنده مايقوله ، فقد كان المأمول حتى آخر لحظة ان يعترف . وطلب‌اليه‌لاندرو ان يكررالسؤال فلما كرره حدق فيه وسكت‌قليلا ثم قال للمحيطين به : ـ

ـ ان هذا السيد يقدم الى‌ولست اعرف من هو . .

وعندئذ قدموه اليه فصاح‌لاندرو غاضبا . ـ

ـ سيدى . انها اهانةأن‌توجه‌الى هذا السؤال . ليس عندى ما أقول

والتفت الى الاستاذ دومونروحبافيرى ثم الى زميله الاستاذ دى بتروى وقال لكل منهمابحرارة ـ

ـ ياأستاذ . . أشكرك . لقداستمتم فى عمل يائس . . حسنا ليست هذه أول مرة يحكم فيهاعلى رجل برىء . . انى مستعد أيها السادة

وهنا اتخذوا آخر اجراء فقدموا له سيجارة وزجاجة من الروم ولكنه لم يلمس هذه وتلك‌وانطلق الجلاد يقيده فسأله الا يشدعليه‌القيد . ثم‌بدأوايزيلون‌ذقنه ، فتوسل اليهم الا يفعلوا فاكتفوا بازاحتها جانبا . . لقدكانت ذقنه حتى فى اللحظات الاخيرة هى فخره العظيم . . ثم‌مزقت ياقةقميصه لتصيرالرقبة عارية

ومشى بين اثنين يعاونانه ويصحبه الاستاذ دومورو جيافيري والقسيس ، واقتيد فى الفناء الى البوابة المقوسة . وكانت المقصلة مقامة فى الجانب الآخر ، فارتعد لاندرو من برد الصباح ، وسمع يهمس لنفسه : —

— ساكون شجاعا .. ساكون شجاعا .

والتفت لآخر مرة الى محاميه وكرر له عبارة شكره ثم وضعت رأسه فى الفجوة المعدة لها ، وارتفعت سن المقصلة . . ثم هوت .

* * *

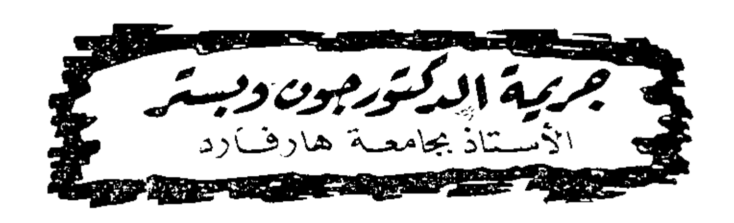
بعد أيام قليلة نشرت صحيفة الماتان خطابا كان لاندرو قد كتبه الى الافوكاتو العمومى قبل اعدامه مباشرة وسلم اليه بعد التنفيذ

كان خطابا يلوح انه فكر فيه كثيرا ، وحاول به ان ينتقم من ممثل النيابة بأن يزرع فى ذهنه بذرة الشك فيما اذا كان لاندرو مذنبا أو بريئا ، فبعد ان هنأه على مواهبه وناقش المحاكمة ، قال انه لمح اول علامات الشك تنبت فى رأس الافوكاتو العمومى عندما كان يعطى اجاباته الحاسمة اثناء المحاكمة ، وكان يراقب هذا الشك وهو ينمو يوما فيوما ثم قال فيه : —

« لماذا لم تستطع ان تواجه نظرتى وانا احدق فيك عندما جيء بى الى القاعة لسماع الحكم .. لماذا انبت الجماهير على سلوكها الشائن . . ولماذا لا تزال الى اليوم تبحث عن النساء المختفيات اذا كنت واثقا من اننى قتلتهن ..

« لقد انتهى ياسيدى كل شيء . وصدر الحكم ... كنت انا هادئا ، وكنت انت جزعا : فهل هناك ضمير يقلق القضاة الشاكين ، كالضمير الذى يقلق المجرمين ..

« وداعا ياسيدى ، ان تاريخ كل منا سيطويه الغد بلا شك . انى أموت هادىء الضمير ، واتمنى لك بكل احترام ان تنال **نفس النعيم . »**



كان الاستاذ جون وبستر يشغل وظيفة استاذ الكمياء والتاريخ الطبيعى فى جامعةهارفارد بأمريكا وهى من أعرق جامعات العالم • وكان دكتورا فى الطب ، وله مؤلفات علمية عديدة ، كما كان عضوا ورئيسا فى عدة جمعيات علمية

وكان الفرع الذى يرأسه فى كلية الطب يشغل جناحا يصح أن يقتل فيه أى انسان ويدفن معه سر مقتله ، وكانت تحت يده من الادوات والمواد ووسائل العلم مايمكن أن تحلل به اعضاء أية جثة وتختفى نهائيا بدون ترك أثر ، كأن صاحبها لم يخلق فى الوجود .

ومع ذلك ، ومع أن سمعةهذا الاستاذ العلمية ومركزه الاجتماعى جعلاه رجلا لايعقل أن تحوم حوله الشبهة فى الظروف العادية ، فان عدةقرائن جعلت تتجمع وتتكاتف حتى تشكلت فى قالب تهمةوضعته موضع المتهم بقتل زميل له هوالدكتور باركمان اذ وجدت جثة هذا الاخير ممزقة ومقطعة الاوصال ،بعضها فى غرفةالاستاذ وبستر وبعضها فى معمله

كان القتيل (الدكتور جورج باركمان) رب عائلة مشهورة ويمتلك عقارات ذات قيمة كبيرة فى بوسطن ، وكانت له مميزات جسمية ملفتة للنظر اذ كان طويلا نحيلا وفكه الاسفل عريضا بشكل غير مألوف كما كان مملوءا بنشاط عصبى لايتناسب مع رجل ضارب فى الستين من عمره

والغريب ان القتيل والمتهم كانا صديقين من زمان طويل

بحيث ان الدكتور باركمان قدم لصديقه الدكتور وبستر عدة خدمات مالية انقذته من الخراب بعد ان اضاع تركة ابيه واستغرق فى ديون كثيرة

وتطورت هذه العلاقة المالية بين الاثنين . وعلى ضخامة الدين فان الدكتور وبستر لم يسدد لدائنه الا جزءا ضئيلا جدا ، واخذ يراوغ فى التسديد ودائنه يلاحقه من مكان الى مكان . وقال مرة لبعض الناس ان الدكتور وبستر ليس رجلا نزيها ولا مستقيما ، ووصلت هذه الكلمات الى مسامع الدكتور وبستر . وبعد يومين ذهب اليه الدكتور باركمان فى عمله بكلية الطب وسأله باقتضاب

— هل انت مستعد لى الليلة

واجاب وبستر بالنفى . ثم جرى بينهما حديث يشبه المشادة خرج باركمان على اثره وهو يصيح :

— يا دكتور ! غدا يجب أن نضع حدا .

ولكن فى اليوم التالى لم يضع حدا .

وفى صباح يوم الجمعة (٢٣ نوفمبر) ذهب الاستاذ وبستر الى الدكتور باركمان فى منزله ، وتحدث معه فى سداد الدين وتواعدا على اللقاء فى الكلية فى الساعة الواحدة والنصف من نفس اليوم

وفى الساعة الثانية عشرة (عند الظهر) خرج الدكتور باركمان من منزله ، ولم يخبر احدا من اهل المنزل الا انه على موعد مع شخص ما فى الساعة الواحدة والنصف . أما من هذا الشخص .. وأين مكان اللقاء .. فلم يكن قد اخبر بهما احدا

ولم يعد الدكتور باركمان الى بيته بعد ذلك

قلقت أسرته ، وفى اليوم التالى اجريت ابحاث واسعة النطاق ووزعت ألوف النشرات بأوصافه واعلنت وعود بالمكافأة لمن يعطى معلومات عن المفقود ، وفتش كل مكان فى النهر وفتشت بيوت عديدة ، وكذلك فتشت كلية الطب ، ولكن تفتيش الكلية كان تفتيشا سطحيا اجرى استكمالا للتسديدات فلم يكن احد

يتوقع حتى هذا الوقت ان يكون الدكتور باركمان هناك ، كما لم يكن يوجد مايدعو الى الاشتباه في الاستاذ وبستر . وعندما دخل رجال البوليس الى الجناح الخاص به فى الكلية استقبلهم بمنتهى الادب ولم يبد عليه ادنى اضطراب .

وفى اليوم الثالث لاختفاء الدكتور باركمان - اى فى يوم الاحد - طرق الدكتور وبستربيت فرنسيس باركمان - شقيق المفقود - وقال له انه سمع باختفاء صديقه ، وقد قرأ فى الصحف امس ان هناك بحثا عن الشخص الذى كان على موعد مع المفقود يوم الجمعة وانه هو ذلك الشخص .. وقال ايضا انه فى مقابلته للدكتور باركمان سلمه مبلغ ٤٨٣ دولارا وانه - اى بركمان - كان فى حالة عصبية ظاهرة وانه عندما كلمه فى شطب الرهن اجاب بسرعة قائلا :« سأرى » واندفع خارجا من الكلية

وشهد فرنسيس باركمان فى المحكمة بان الاستاذ وبستر كان هادئا ولم يظهر عليه اى اضطراب او تأثر

وبالاختصار كانت تصرفات وبستر طول الوقت وبين الناس جميعا وفى كل الظروف يبدو عليها الهدوء وضبط النفس .

وزار رجال البوليس والنيابة كلية الطب بعد ذلك مرتين متتاليتين استيفاء لبعض نقط التحقيق ولم يلاحظوا شيئا غير عادى عند وبستر

فى هذا الظلام الحالك الذى خيم فوق هذه الجريمة ، كان هناك رجل واحد تيقظت شكوكه ضد وبستر . وذلك الرجل هو (افرايم لتلفيلد) ملاحظ الكلية الذى يعيش مع زوجته فيها وكان من عمله ان ينظم الغرف والادوات ويوقد النار فى الافران لاجراء التجارب ويطفئها بعد المحاضرات الى غير ذلك من الاعمال

كان لتلفليد موجودا عند ماوقعت بين الاستاذ وبستر وبين الدكتور باركمان المشادة التى اشرنا اليها . وفى يوم الخميس

السابق ليوم اختفاء المفقود ،طلب منه الاستاذ وبستر ان ياتيه من المستشفى بكمية من الدم لاستعمالها فى محاضرة الغد وفى صباح الجمعة وجد لتلفيلد مطرقة خلف باب الغرفة الخاصة بالاستاذ فحملها الى المعمل ولم يرها بعد ذلك ولو انه بحث عنها .

وفى يوم الجمعة كان لتلفيلد واقفا امام باب الكلية فى الساعة الثانية الا ربعا ، وشاهد الدكتور باركمان من بعيد مقبلا الى ناحية الكلية وهو يمشى بسرعة كالعادة ولكنه لم يشاهده يدخل الى الكلية لانه كان قد ذهب الى غرفته ليستريح

وعندما بدا يباشر مهمته بعد الساعة الثانية والنصف مساء ذهب الى معمل الدكتور وبستر ولكنه وجد الباب مغلقا بالمزلاج من الداخل ، وهو أمر غير عادي بالمرة ، وسمع حركات وبستر فى داخل المعمل ، ووجد ايضا باب غرفة محاضراته مغلقا فانصرف الى اعمال اخرى

وفى الساعة الرابعة والنصف عاد وحاول فتح الابواب ، ولكنها كانت لاتزال مغلقة ، وفى الساعة الخامسة والنصف شاهد الاستاذ وبستر ينزل من الدرج الخلفى وفى يده قنديل اطفأه وخرج من الكلية وفى الساعة العاشرة مساء عندما كان يجول جولته الاخيرة لاحظ ان الابواب ما زالت مغلقة

وفى اليوم التالى ـ السبت ـ جاء الاستاذ وبستر الى الكلية فى الساعة الحادية عشرة صباحا منفردا . وفى هذا اليوم كان لتلفيلد قد سمع طبعا بنبأ اختفاء الدكتور باركمان

وفى مساء الاحد كان يتحادث مع صديق له ، فى شارع قريب من الكلية ثم أقبل عليه الاستاذ وبستر وساله عن آخر مرة راي فيها الدكتور باركمان فاجاب بانه راه فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم الجمعة مقبلا نحو الكلية . فقال وبستر:

- هذا هو نفس الوقت الذى دفعت له فيه ٤٨٣ دولارا

ثم اخذ يروى بلا مناسبة تفاصيل اعطائه هذا المبلغ . وكان اصفرار وجه الدكتور وبستر واضطرابه مما ترك فى نفس لتلفيلد اثرا

فى هذه اللحظة زحف الشك الى صدر لتلفيلد . وفى المساء اخبر امراته بعزمه على مراقبة جميع خطوات وبستر ، وتوسلت اليه الا يفعل شيئا ضد رجل يستطيع بكلمة واحدة ان يطرده ويقطع رزقهما . ولكنه طمأنهما ووعدها بانه سوف يتصرف بمنتهى الحذر

وفى يومى الاثنين والثلاثاء لم يسمح له وبستر ايضا بتنظيم غرفته او اشعال النار فى افرانها وابقى ابوابها مغلقة . وجاء رجال البوليس كما قلنا والقوا نظرات هنا وهناك ، ولكن لتلفيلد لم ينطق بكلمة ولم يقل لاحد شيئا مما يساوره من الشكوك

وكان الاسبوع كله عطلة لمناسبة عيد الشكر . ولكن وبستر كان دائم التردد على معمله

ولشدة دهشة لتلفيلد منحه وبستر (ديكا روميا) لمناسبة العيد . وقد علق فى المحكمة على هذا قائلا :

— وانها لظاهرة تستلفت النظر أن يخرج الاستاذ وبستر عن مليم من ماله ..

وفى صباح الاربعاء كان لتلفيلد ينظر من ثقوب المفاتيح ومن اسفل الابواب ، وكل ما استطاع ان يراه هو ان وبستر كان يتحرك فى انحاء الغرفة من جهة الى جهة اخرى ومن زاوية الى زاوية

وبعد ظهر هذا اليوم ، شعر لتلفيلد بحرارة شديدة تنبعث من حائط السلم الذى يقع فى ظهر المعمل . وفهم انها منبعثة من فرن كان يعلم انه لم يستعمل مطلقا قبل ذلك

وبعد ان خرج وبستر حاول لتلفيلد فتح الابواب ، ولما عجز تسلق ظهر النافذة وحاول الدخول منها فلم يستطع ايضا ، ولدى نزوله لاحظ وجود بعض بقع متناثرة على سلم المعمل ، ولما وضع اصبعه على احداها ثم تذوق الطعم وجد انها محلول كربونى

اخيرا فكر لتلفيلد ثم حزم امره على ان يدخل الى المعمل بآية طريقة كانت ، وهداه تفكيره الى ثقب الحائط . وهكذا بدا يعمل بعد ظهر يوم الخميس ، واوقف زوجته على بعد لتعطيه اشارة عند قدوم احد ، واستمر يعمل يوم الخميس ويوم الجمعة وفى أثناء عمله جاء رجال البوليس فاطلعهم على ظنونه ونياته وقال انه سينتهى من ثقب الحائط بعد قليل ..

وانتهى اخيرا .. ثم امسك بمصباح واطل من داخل الثقب على المغسل الموجود فى المعمل . فلم يلبث ان ارتد فزعا من هول ما رأى . اذ شاهد بقايا جثة ادمية وقطعتين من ساقيه فهرول ليخبر باستكشافه

بعد قليل جاء رجال النيابة والبوليس ، ثم صدر الامر الى ثلاثة من الضباط بالقبض على وبستر

استقل الضباط الثلاثة عربة الى بيت وبستر ، ولما وصلوا وجدوه عند السلم الخارجى يشيع ضيفا ، فاخبره احدهم انهم جاءوا اليه لانهم يرغبون فى تفتيش الكلية ثانيا فى حضوره . فوافق فى الحال ولبس حذاءه وقبعته ومعطفه وذهب معهم ..

وفى الطريق جرى حديث بينه وبينهم حول الجثة ، فاخذ هو يحدثهم عن اخر مقابلته له وعن دفع ٤٨٣ دولارا اليه

وفجأة لاحظ وبستر ان العربة لا تسير فى الطريق الموصل الى الكلية ، فاجابه الضابط قائلا: لا تهتم . ان الحوذى غشيم .. وبعد قليل وقفت العربة امام باب السجن وامروه بالنزول . فنزل فى الحال ودخل الجميع الى السجن

وبعد لحظة ذهول قال وبستر :

ـ ما معنى كل هذا ..

فأجاب احد الضباط قائلا :

ـ يادكتور ، لقد امضينا طول هذا الوقت نبحث عن جثة الدكتور باركمان ، ولن نبحث عنه بعد ذلك وانت الآن فى السجن بتهمة قتله

نطق ويستر ببعض كلمات غير مفهومة ، وطلب ان يرسل نبأ لأسرته ولكنهم نصحوه بان يتريث حتى الصباح

تركوه فى حراسة احد الضباط فسأله ويستر :

— هل عثروا على باركمان ؟ .

فرجاه الضابط الا يسأل عن شىء . ولكنه لم يستطع ضبط نفسه طويلا . واخذ يقول :

— يمكنك ان تقول لى شيئا عن الموضوع . اين وجدوه . . هل وجدوا كل الجثة ‥ لماذا اشتبهوا فى الطفل ‥ آه ياأطفالى . ماذا سيصنعون . . ماذا سيظنون فى . . . من اين اتوا بالمعلومات

سأله الضابط :

— هل هناك احد على اتصال بغرفك الخاصة ؟ . .

فأجاب :

— لا احد سوى الملاحظ الذى يشعل النار ‥ آه ‥ هذا الشقى . . . انى رجل هالك .

واخذ يذرع المكان ذهابا وجيئة وهو يضرب كفا بكف . ثم دس يده فى جيبه واخرج شيئا وضعه فى فمه ولكن الضابط الذى كان يراقبه ادركه وقبض عليه بقوة . واتضح انه تناول بعض الاستركتين قاصدا الانتحار . الا ان الكمية لم تكن كافية لقتله وان تكن قد جعلته غير قادر على الوقوف . ثم وضعوه فى الحبس الانفرادى حتى لا يعاود المحاولة . وبعد نحو ساعة قرر البوليس نقله الى الكلية فرفعوه فوق نقالة وكان طول الوقت يبكى ويذكر أسرته

وفى الكلية فتحوا باب المغسل ، واخرجوا بقايا الجثة وكذلك العظام الآدمية التى وجدت فى الفرن وتركت لفحص آخر

وحوالى منتصف الليل اعادوا المتهم الى السجن . وفى الطريق خرج عن صمته وقال :

— لماذا لم يسألوا لتلفيلد . . ماذا ستقول اسرتى عن غيبتى

ونام طول الليل بلا حركة . وفى الصباح استطاع ان يجلس على كرسى وعاد الى تمالك أعصابه وقال لضابط السجن :

- انها ليست جثة باركمان انى اصدق انها جثتى انا قبل أن أصدق انها جثته كيف جاءت الى هناك .. لا أدرى ، انى كرهت دائما لتلفيلد هذا ، وقد عارضت بقدر استطاعتى فى تعيينه فى الكلية

وفى اليوم التالى جىء بخبراء من الاطباء ليعاونوا البوليس فى ابحاثه . وكانت مهمة هؤلاء الاطباء عسيرة شاقة لأنهم كانوا زملاء واصدقاء للمتهم والقتيل .

فحصوا الرماد الذى فى الفرن وعثروا فيه على بقايا عظام وطقم اسنان . وعثروا فى وعاء كبير داخل المغسل على فخذ آدمية وجذع الكلية ومطواة كبيره . ولكنهم لم يجدوا نقطة واحدة من الدم . الا ان البقع التى وجدت على السلم اتضح انها مصبوغة بنترات النحاس

اما بقايا الجثة التى وجدت فقد قال الاطباء انها لرجل من مثل سن باركمان ونباته الجثمانى . غير انه لم يكن احد ليستطيع الجزم بانها متكاملة ...

ولكن كانت هناك الاسنان الصناعية التى كانت مفتاح اللغز للنيابة اذ تعرف عليها الدكتور (كيب) طبيب الاسنان الذى كان قد باشر علاج الدكتور باركمان وصنعها له قبل افتتاح كلية الطب

واختلف الاطباء فى سبب الوفاة ، ولو انهم رجحوا احتمال حصول القتل بواسطة سكين الا انه مما اضعف ذلك الترجيح انه كان يجب فى تلك الحالة وجود كمية من الدم ، وهم لم يكتشفوا نقطة واحدة ، ولكن من جهة اخرى يقوى هذا الترجيح وجود نترات النحاس التى قد يمكن ان تكون استعملت فى ازالة الدم .

وقال بعض الاطباء ايضا ان تقطيع الجثة يدل على ان الفاعل له بعض الدراية بالتشريح

بتجميع هذه القرائن استطاعت النيابة ان تصور الجريمة بأنها ارتكبت بتدبير غاية فى الهدوء . وبهدوء مماثل حاول القاتل

التخلص من الجثة . فالمعروف انه بتسخين البوتاس بنار شديدة يمكن تحليل اللحم والعظام وتحويلها الى سائل ولكن ببطء شديد يحتاج الى وقت غير قليل للتخلص من الجثة كلها . ولهذا حاول القاتل ان يلقى ببعض الاجزاء الى الفرن . ولا شك انه لو اتسع له الوقت لامكنه التخلص من الجثة كما كان صاحبها لم يوجد ابدا ، ولما بقى منها شىء يدل على ان جريمة قتل ارتكبت ولا حتى نقطة دم واحدة .

وبعد ايام قلائل من القبض على المتهم كتب خطابا من السجن الى احدى بناته اختتمه بقوله (اخبرى ماما بالا تفتح الرزمة التى اعطيتها لها اخيرا . ولتحتفظ بها كما تسلمتها)

صودر هذا الخطاب وذهب رجال البوليس الى بيته وضبطوا الرزمة فوجدت محتوية على الايصالات التى كان قد حررها اعترافا بالدين للقتيل بين سنتى ١٨٤٢ و ١٨٤٧

واخيرا كتب تقرير الاتهام وقدم الاستاذ وبستر الى المحاكمة وتولى النائب العام المستر كليفورد المرافعة ضد المتهم . وتولى الدفاع عنه اثنان من اشهر المحامين الامريكيين وهما الاستاذان ادوارد سوهير وبلينى مريك ، وامتدت المحاكمة اثنى عشر يوما وقعت فى خلالها حوادث مثيرة ومشاهد مؤثرة خصوصا عندما كان زملاء القتيل والمتهم يدلون بشهاداتهم

وانصافا للحقيقة نقول ان مرافعة النيابة كانت تقاد بمهارة ونزاهة مأثورتين ، واثارت حول المتهم كتلا سوداء كثيفة من الشبهات . وكان من السهل اثبات الباعث على الجريمة والغرض منها .

وكان افرايم لتلفيلد هو شاهد الاثبات الرئيسى ولم يرتبك امام حملة الاسئلة والاستجوابات العنيفة التى وجهها اليه الدفاع

ومن الانصاف ايضا ان نقرر ان مركز المتهم كان منهارا . وكان موقف الدفاع عنه فى غاية الدقة وكانت الرسائل التى فى يد المحامين ضعيفة جدا . ولكن قارىء هذه القضية لا يسعه ان يخفى انبهاره للبراعة المعجزة التى تبدت فى مرافعة محاميى المتهم اللذين نفخا

فى بصيص الامل الضئيل فجعلامنه نارا وهاجة من المؤكد انهــا أدفأت قلب المتهم وقلوب زوجته وبناته واصدقائه ، ولو لفترةمن الزمن ..

الا ان نقطة الضعف الوحيدةالتى اظنهــا اساءت الى براعــة الدفاع ، بل اساءت ايضــا الىمركز المتهمان الاستاذ مريكوكان آخر المترافعين كان يتذبذب بينأسس عديدة بنى عليها دفاعه. وكل اساس من هذه الاسس يكادينقض الاخر ، فلم تكن مرافعتــه نقطا مسلسلة لاساس واحــد ،ولكنها كانت اسسا مختلفة غير متكاملة ولا متجانسة . فمثــلابدأ الاستاذ بلينى مريك يثبت أن الدكتور باركمان حى يرزق وأنالجثــة التى وجــدت ليست له . وهذا فى الواقع هو أقوى سنــدللدفاع لانه مؤيد بشهادة وآراء كثيرين من الشهودوبعض مشاهيرالاطباء . ولكن الاستاذ قفــز الى أساس ثان فقال انــه اذا كانتالجثة هى جثة باركان فان الاستاذ وبسترلم يقتله ولكن قتله لتلفيلد. .ثم انتقل الىاساس ثالثفقال ان باركمان اذا كان قد قتل خارجالكلية فانه نقل اليها نكاية فــى وبستر.ثم انتقلاخيرا الىاساسرابع فقال انه اذا كان باركمــان قد قتل داخل الكليه وبيد الاستاذوبستر فانالقتل يكون قد تمفى ظروف لايصح أن تكون عن تعمدأو مسبوقة باصرار

❊ ❊ ❊

قام النائب العمومى فترافعمرافعة طويلة بليغــــة مؤثرة . ولسنا بحاجة الى ترديــد الادلــةالتى ساقها لدعم الاتهام فقــــد فضلنا الاشارة اليها من القرائنالمادية ومن شهادة الشهود ومن بعض أقوال ندت عــن المتهــم .ونوجز هذه المرافعة فى الاتى :-

كانت النقطتان الرئيسيتــاناللتان دارت عليهما المرافعة هما :

اولا - انه ثبت ان الدكتــورباركمان دخل الى الــكلية قبيــل الساعة الثانية . وبعد هــذا لميره أحد . وان النيابة قدتحرت بكل وسيلة فى جميع انحاءالمدينةعن شخص واحد يكون قــد راه بعد خروجه من الكلية ولكن دونجدوى . والنائب يشير هنا الى شهود النفى الذين سيقولون انهمشاهدوه انما هم شهود مصطنعون وقال ايضا ان السلطات لم تقصرفى واجبها بحثا وراء المفقــود اذ

فتشوا النهروالبيوت وكل ناحيةفى المدينة ولم يعثروا له على أثر واحد .

ثم انتقل النائب الى اجزاء الجثة التى وجدت فى غرفة وبستر ، وقرار الاطباء الخبراء انهم يرجحون انها تشابه فى مجموعها جسم باركمان وسنه - هذا ولو انه كان ينقص الجثة الرأس والساقان واليدان .

وقال ان مما يؤيد ان الجثة هى جثة باركمان عثورهم على طقم الاسنان وشهادة الدكتور كيب طبيب الاسنان بانه صنع الطقم للدكتور باركمان وان الفك العريض الاسفل الذى كان يميز القتيل يذكره تماما بذلك .

ثم قال اخيرا ان الاختصاصيين قرروا ان الجثة قطعت بواسطة يد ذات مهارة وعلم بالتشريح وان يكن صاحبها غير اختصاصى فى فن التشريح .

على هذه الاركان استند النائب العام فى اثبات ان الجثة المزقة هى جثة المفقود .

ثانيا - ثم انتقل الى اثبات التهمة على المتهم فقال « فاذا اقتنعتم ايها السادة بان الدكتور باركمان قتل وان هذه هى جثته فانه يبقى السؤال الكبير الخطير . هل قتله المتهم ؟ ..

واخذ يرد على هذا السؤال ببراعة تخلب اللب ، ويورد الادلة بنظام عجيب لايخرج عما اوردناه الان فى رواية التفاصيل .

ثم اختتم مرافعته البليغة بخاتمة مؤثرة قال فيها :

« وانى أيها السادة أقول بكل اخلاص انى تمنى أن يكون المتهم قادرا على أن يفسر كل هذه القرائن تفسيرا للمصلحة بحيث يقنعكم ويقنع العالم المتمدين انه على قدر ضغط هذه القرائن عليه فانه قادر على أن يبعدها عنه ويبرأ منها ويقف نظيفا فى ضوء النهار الساطع ، فاذا نجح فى ذلك ياحضرات المحلفين ، فلا اظن أن انسانا سيكون أكثر امتنانا ولا غبطة منى ، وأنا واثق نكم عندئذ ستشاركوننى اغتباطى »

* * *



وكان تحت يده من وسائل العلم ما يحلل به الجثة وكان صاحبها
لم يخلق فى الوجـود (ص ٩٤)

وسمع المحلفون بعدذلك شهود الاثبات ، وكان الشاهد الرئيسى هو افرايم لتلفيلد وطبيب الاسنان ومجموعة من الاطباء الاختصاصيين وشهود آخرين .

ثم وقف المحامى الاستاذادوارد سوهيير فعالج بافاضة بحثا قانونيا يقارن بين القتل العمد والقتل المسوق بأقدار . وانتقل الى بحث قانونى آخر فى تقرير الاتهام .

وتكلم فى القاعدة المشهورة (الشك فى مصلحة المتهم) وأثبت أن هذه القاعدة انما هى حق للمتهم وليست صدقة من الشرع ، فيجب أن تمحى الفكرة التى تقول أن هذه القاعدة عبارة عن قنطره يعبر فوقها المجرمون من العقاب .

وانتقل الى الكلام فى شهادة الشهود فقال :

« الشهادة نوعان شهادة الرؤية وهى الشهادة المباشرة ، وشهادة الظروف والقرائن . فأما شهادة الرؤية فليس لها وجود فى هذه القضية اذ لا يوجد من يشهد بأنه رأى المتهم يقتل . أما شهادة الظروف والقرائن فانها توجد حيث تكون هناك حقيقة مرغوب فى اثباتها ولم يرها احد ولم يعرفها أحد . ولكن من اثبات ظروف وحقائق أخرى يمكن استخراج الحقيقة الكبرى .

« ومن هنا ترون أيها السادة أن هناك فرقا كبيرا بين قوة شهادة الرؤية وبين شهادة الظروف والقرائن

« خذوا مثلا قضية . . الشهادة فيها شهادة الظروف والقرائن . يتكون الدليل فى مثل هذه القضية من حقائق عدة . وكل حقيقة منها يجب أن تثبت ثبوتا قاطعا لا يداخله شك . وهنا تقع الاخطاء

« وجد شخص فى الطريق قتيلا . جاء رجل يشهد بانه رأى شبحا يعدو ويدخل منزلا . وآخر يشهد بأنه دخل المنزل الذى أشاروا له عليه فقبض على رجل يلهث . وثالث يشهد بانه وجد بقعا من الدم على ملابس المقبوض عليه .

« خذوا الشاهد الاول . قد يكون هذا الشاهد مخطئا . فمن شاهده يعدو . أو فى المنزل الذى يقول انه رآه يلجأ اليه . وقد يكون شاهدا كاذبا . . فهناك ثلاث فرص للخطأ

« الشاهد الثانى . قد يكون مخطئا . فى الرجل الذى قبض عليه . أو فى المنزل الذى ظن انه اشير له عليه . أو يكون شاهدا كاذبا .. فهناك ايضا ثلاث فرص للخطأ

« الشاهد الثالث . قد يكون مخطئا فى تمييز الدم من غيره . او فى تمييز ملابس المتهم من غيرها او قد يكون شاهدا كاذبا . .

« هذه مجموعة احتمالات للخطأ فى قضية بسيطة . فقد يكون الرجل الذى شوهد يعدو هو القاتل . وقد لا يكون . أليس من الجائز انه قد فر فزعا عند رؤية الحادث ؟

« أليس من الجائز ان يكون صديقا للمجنى عليه وقد فر خوفا من الاعتداء ؟

« فاذا قارنا هذه القضية بقضيتنا فلا ريب انه سيدهشكم ضخامة العدد الذى تقع به لاخطاء .

« ان القانون يحتم أن كل قرينة تستخرج منها نتيجة ، يجب أن تثبت ثبوتا لا يحتمل أى شك - وبالتالى اذا كانت هناك سلسلة من القرائن تعلق عليها القضية ، ثم ضاعت أو انكسرت حلقة من هذه السلسلة ، فان الاتهام كله ينهار .

« يكون شهود النيابة سلسلة طويلة من ادلة القرائن .. هى السلسلة التى حاولوا أن يغللوا بها المتهم ويسحقوه .

« هذه السلسلة تتكون من قسمين كبيرين :

أولهما ان الدكتور باركمان قتل . وثانيهما ان الاستاذ جون وبستر هو الذى قتله .

هذان هما القسمان الكبيران . وكل قسم منهما ينقسم الى اجزاء كثيرة . وكل جزء الى نقط عديدة ...

« فكيف تؤيد النيابة قضيتها ؟

« يقولون ان جورج باركمان قتل . وكيف يثبتون ذلك ؟ - بعدة قرائن توصل كلها الى نهاية واحدة هى أن الدكتور باركمان كان فى كلية الطب ولم يخرج منها - هذا هو القسم الاول .. »

« ويقولون أيضا ان الاستاذ وبستر هو القاتل – وكيف ؟ لانه آخر من رآه .. فاذا كان لم يقتله ، فالنيابة لاتعرف من الذى قتله ...

« فالآن نفترض أنه خرج من لكلية – اذا انكسرت هذه الحلقة فان السلسلة كلها تتفكك وتنتهى القضية .

خذوا جزءا آخر من القضية . يقولون انهم يثبتون وحدة اجزاء الجثة – وكيف ذلك ؟ الاثبات الرئيسى عندهم هو طقم الاسنان الذى وجد فى الفرن وعليه علامات ... – فاذا ثبت ان يصح وجود الاسنان لآخر وان العلامات غير مميزة . فهنا ايضا نهاية القضية .

« النقط الكبرى التى يجب أن نوجه اليها اهتمام حضرات المحلفين هى :

١ – ان كل قرينة تعتمد عليها النيابة يجب ان تثبت فوق كل شك .

٢ – ان كل قرينة يجب أن تؤكد اتهام وبستر

٣ – ان اى قرينة لايجب أن تحتمل اى فرض آخر غير هذا الفرض . »

« فما هى خطة دفاع أى رجل يتهم بادلة عبارة عن شهادة القرائن ؟

أولا – أنه ينفى هذه القرائن .. ينفيها بشهود من المواطنين المحترمين الذين يشهدون بأن القرائن التى تستند عليها النيابة ليست ، ولا يمكن ان تكون فوق كل شك .

ثانيا – ويثبت ايضا ان هذه القرائن يحتمل ان تدل على فروض أخرى قد تكون فى مصلحة المتهم .

« وانتقل اخيرا لابسط بكل اختصار وبوجه عام النقط الرئيسية التى سترتكز عليها شهادة شهودنا

« لسنا ننوى أن نقدم شهودا يشهدون مباشرة باى الوسائل جاءت بقايا الجثة الى معمل الدكتور وبستر . ان وبستر ما زال على موقفه . انه لا يعرف شيئا عن هذا . انها بقايا جثة

رجـل . ان المتهم يقف كما لو كنتم تقفون اذا وجدت مثل هذه البقايا تحت اساس منازلكم او محال اعمالكم او فى اى مكان لكم

« فالشهود الذيـن نقدمهم يشهدون بالآتى : —

« وبستر يقف متهمـا هنـا بارتكاب عمل وحشى فظيـع — ولهـذا سـنعرض لـكم اخلاقه وسمعته

« ان القـانون يا حـضرات المحلفين لا يعـطى نفس الاهمية لأخلاق المتهم وسـمعته اذا كان يوجد شهود رؤية ضده . وذلك بعكس الحال فى القضايا الغامضة المشكوك فيهـا وحيث تعتمد النيابة على القرائن فقط .

« فحيث يقف رجـل كهـذا الرجل ، متهما بشهادة القرائن فى قضية مشكوك فيهـا ، بارتكاب جريمة بشعة . يجب ان يعطى المقـام الاول للسلوك والاخـلاق والسمعة . وهذا بعكس ما اذا اتهم رجل بجريمة قتل ووجد ضده الدليـل المـادى وشهادة الرؤية فان من العبث هنا اثبات انه كان فيمـا سبق رجـلا ذا اخلاق مستقيمة وسمعة طيبة .

« ولكن اذا جئتم الى قضية مشكوك فيها ـ قضية قرائن — فيجب الاهتمام الـكلى بالاخلاق ويكون من حق المتهـم أن يضع تحت نظـر مواطنيه اخـلاقه وسمعته التى اكتسبها وشادها طوال حياته .

« وبستر متهم بارتكاب عمل من اعمال القوة فى جريمة وحشية . وردا على هذا الاتهام ساقدم شهودا يشهدون باخـلاقه حتى تحـكموا ان كان هـذا الرجل يستطيع ارتكاب ذلك العمل او تلك الجريمة .

« وكـذلك سيثبت شهودنا كيف كان سلوكه ، وكيف قضى وقته بين اسرته وبين الناس فى الفترة التى تلت اختفاء باركمان الى يوم القبض عليه .

« سـنقدم كـذلك شـهودا يشهدون بانهـم رأوا الدكتـور باركمـان فى يوم الجمعـة خارج الكلية بعد الوقت الذى قيل انه

قتل فيــه . وسنكون مخطئين اذا لم نقدم دليلا على انه خرج من الكلية .

« قد لا يـكون هــذا مهما فى اثبات ما اذا كانت تلك جثته ام لا . ولكنه مهــم لتروا اذا كان ويسترو هو الذى قتله ، او قتله غيره

« فالحقائق التى سنخرج بها من شهودنا هى ما يأتى :ـ

١ ـ عن اخــلاق المتهــم : الاســتاذ وبستر رجــل وهب حياته لدراسة الكيمياء وخدمة العلم . وهو رجل ذو تصرفات عصبية فى بعض الاحيان ، ولكنه مــع ذلك مسالم الى اقصى حد وغير مؤذ فى عاداته وفى سلوكه . ولا يجب الالتفـات الى عصبيته فقد يكون احيــانا عصبى المزاج ولــكن بدون ان يعتمــد عــلى استخدام القوة او يعتدى على احد او يريق دم احد . بل انه بطبيعته جبان .

وهو فيما يختص بمعــاملاته ليس رجلا شريرا ، بل قد يعتبر عكس ذلك

وليس جديدا عليه ان يغلق المعمل على نفسه ليالى وأياما . وليس جــديدا عليــه ان يبعد اى ملاحظ لكلية او اى شخص آخر فى الوقت الذى يجرى فيه تجاربه .

٢ ـ عن خروج باركمــان ـ وستسمعون مــن شــهودنا ان الدكتور باركمان قد خرج مــن الكلية وان كثيرين من المواطنــين شاهدوه فى مواعيد مختلفــة ، وفى اماكن مختلفة بعد الســاعة الثانية التى قيل بحدوث القتــل فيها . وستسمعون ايضــا ان الدكتور وبستر خرج من الكلية فى ساعة مبكرة من بعد ظهر يوم الجمعة وليس فى ساعة متأخرة

٣ ـ وستسمعون ايضا كيف امضى وبستر بقيــة الاسبوع ، ستسمعون انه كان فى منزله كل يوم فى مواعيد الغداء وفى وقت الشاى وفى العشاء ، وانه لم تبد عليه مسحة تدل على انه وقعله حادث ما

٤ ـ وستسمعون أيضا آراء بعض مشــاهير الاطبــاء الذين

فحصوا الجثة . ستسمعونهم يقولون لكم ان الجثة التى وجدت لايمكن ان تكون جثة الدكتور باركمان ، وان اليد التى مزقتها يد جاهلة لايمكن ان يكون لدى صاحبها أقل المام بفن التشريح »

* * *

واستعرضت المحكمة بعد هذه المرافعة شهود النفى . فشهد بوداعة وحسن اخلاقه بعض اعضاء فى مجلس الشيوخ وقضاة واطباء واساتذة فى كلية الطب ومدير الجامعة وقساوسة ومحافظ المدينة السابق والمحافظ الحالى وضباط فى الجيش وغيرهم من رجال المال والاعمال

ثم شهد كثيرون ومنهم زوج المتهم وبناته الثلاث اللاتى كن يبكين طول الوقت بانه كان يقضى اغلب اوقاته فى المنزل وانه كان فى حالة هادئة ولم يبد عليه ان امرا طارئا حدث له

وشهد آخرون بانهم رأوا الدكتور باركمان بعد الساعة المزعوم حصول القتل فيها فى أماكن مختلفة من المدينة وفى اوقات مختلفة

واخيرا شهد بعض الاطباء المشهورين بان اجزاء الجثة لايمكن ان تكون للدكتور باركمان وان تقطيعها يدل على ان اليد التى مزقتها تجهل كل الجهل مبادىء علم التشريح

* * *

وفى اليوم العاشر للقضية ، قام الاستاذ بلينى مريك فترافع مرافعة طويلة استغرقت يومين كاملين ، ونكتفى بما علقنا به على المرافعات قبل البدء فى تلخيصها ، ونورد فيما يلى ختامها المؤثر حيث قال تعليقا على شهود النفى الذين قالوا انهم راوا الدكتور باركمان بعد الوقت الذى يقال بحدوث الجريمة فيه : —

« ياحضرات المحلفين

« هؤلاء الشهود المحترمون من المواطنين . كيف جاءوا الى هنا ؟

« تأملوا فى مركز المتهم . رجل وحيد فى سجنه المظلم .

وليست له عائلة ذات نفوذ تستطيع أن تعاونه . كل عائلته هى تلك الاسرة المنكودة الطالع المكونة من زوجة وثلاث فتيات .

« مع ذلك فقد ظهر هؤلاء فجأة عندما سمعوا بتفصيل التهمة واسترجعوا اذواكرهم ، فاستطعنا نحن ان نكشف هذه الادلة ونحضرها هنا أمامكم

« هؤلاء الشهود لهم ابصار تستطيع أن تقرر بأنهم رأوا باركمان خارج الكلية فمن ذا الذى يستطيع أن يقول انهم ليسوا صادقين ..

- قد يقال انهم اخطأوا النظر وقد يكونون فعلا مخطئين . ولكن هل انتم واثقون من انهم مخطئون .. مخطئون الى حد نكم تجسرون على أن تلمسوا دم هذا الرجل بسوء .

« ياحضرات المحلفين انه حكم القانون فى حالات الشك حيث تتشابك شهادات الشهود وتتعقد بحيث يعسر استخراج النتائج السليمة من هذه الكتلة المظلمة من ادلة الشبهات نجد تبرئة المتهم

« ان المتهم يرجوكم ان تزنوا هذا كله . وهو لا يطلب منكم اكثر من أن تكون ضمائركم حرة فى نهاية أيام هذه القضية ، وأن تزنوا جميع اعتراضاته على شهود النيابة ، وان تخرجوه فى النهاية الى النور والحياة مرة ثانية . أن تعيدوه الى بيته المواضع الذى لا يمكن لاحد أن يصف الاحزان التى تغرقه »

* * *

تداول المحلفون ثلاث ساعات ثم دخلوا فأعلنوا قرارهم بادانة المتهم

وفى اليوم التالى نطق الرئيس بالحكم الآتى :-

« ان المحكمة قررت بأنك ياجون ويستر تنتقل من هذا المكان وتحبس فى سجن منفرد الى أن تنقل بعد ذلك الى مكان التنفيذ وهناك تشنق من رقبتك حتى تموت . عسى الله أن يطهر روحك ويرحمك »

* * *

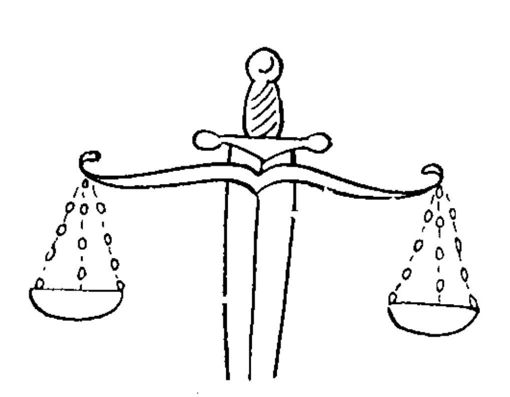
لعل كثيرين من القراء يرون هذا الحكم جائرا ..

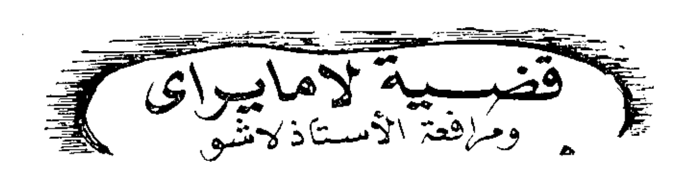
كـذلك كان يعتقـد محامياه وزوجه وبناته . ولذلك سـعوا سعيا حارا فى اسـتصدار قراربالعفو عنه من رئيس الجمهورية لـكنهم فوجئوا بمن ينبئهم أن المتهم استدعى قسيسا واعترف له بجريمته. وعند هذا الاعتراف فقط صدقت زوجته وبناته بأنه كان قاتلا

ومما قاله فى اعترافه « دعوت باركمان ليقابلنى فى الكلية . ولم يكن فى نيتى أن اسدد له بل كنت أنوى أن أرجوه فى التأجيل ولكنه لفظ بألفاظ شـديدة ومهينة . فاستولت على موجةغضب هائل وضربته بعصا ثقيلة » ثم انـكر حصول القتل مع سبق الاصرار قائلا : « لم يكن فى نيتى ذلك . والله يشـهد »

وبعد أن تقرر مصيره . تجردمن خطاياه وبعث فى طلب لتلفيلد وامرأته واعتذر لهما لظلمهاياهما

وقال : « كل ماقلته حقيقى أنك لم تكذب فى شىء »





فى أوائل اغسطس سنة ١٨٦٧ روعت مقاطعة بارتناى بنبأ وفاة بيير تكسييه الثرى المعروف المحبوب من الجميع ، وتضاعفت دهشة الناس عندما تسامعوا بنبأ القبض على أرملة أخيه مدام تكسييه ، وخادمه القديمة الامينه فرانسواز ريشار ، ومسيو شارلو والد مدام تكسييه ، بتهمة تسميم بيير تكسييه

كان بيير تكسييه رجلا عزب يبلغ الثالثة والخمسين ، ويعيش منعزلا وحده فى أملاكه بجهة لامايراى .

وكانت تقوم على خدمته منذ سنين خادم أمينة هى فرانسواز ريشار التى أضافت الى خدمة المنزل مهمة العناية بصحته اذا اعتلت .

وكان فى عزلته لايكاد يستقبل أحدا سوى مدام تكسييه أرملة اخيه وطفلتيها بنتى اخيه اللتين أحبهما وكانتا تكونان أسرته الوحيدة .

وفى شهر يوليو اشتدت عليه أزمة المرض اذ كان مصابا بداء النقرس منذ سنوات ، فاستدعى طبيبه الدكتور جان الطبيب الشرعى الذى نال شهرة واسعة على اثر قضية تسمم اكتشفت فى نفس السنه .

اشتد المرض على بيير تكسييه فاسرعت أرملة أخيه اليه حيث أقامت فى قصر لامايراى مع طفلتيها وخدمها لتقوم على العنايه بالمريض ولتؤنس وحدته الموحشة .

اخـذ المريض يدخل فى دور الخطر ابتـداء من اول اغسطس وابتدأ يقىء قيئا استلفت نظـر الدكتور جان وأقلقه وجعله يعتقد ان المريض قد تسمم، فاستعان بزميله الدكتور رلودان . وفى اليوم السابق على وفاة المريض كتب الاثنان الى النائب العمومى البلاغ التالى : -

(أن بيير تكسييه على شـفا الموت . ويظهر أن حالته ناتجـة من تعاطى مادة سامة . ونعتقد أن علينا أن نبلغكم عن هـذه الظروف فان الخطر محقق)

وبمجرد وصول هذا الخطاب قـام النـائب العمومى وقاضى التحقيق فورا الى قصر لامايراى ، واستجوبا المريض أولا . وتتلخص أقواله فى أن الدكتور جان هـو الـذى أوصـله الى هذه الحالة بأدويتـه . . . ثم مات بعـد ساعات

قاما بعد ذلك باستجواب مدام تكسييه .. ثم الخادمة فرانسواز ثم المسيو شارلو والد السـيدة وكان قد جـاء الى القصر ليعود المريض وليزور ابنته .

وبعد الاستجواب تقرر القبض على هؤلاء الثـلاثة وسيقوا الى السجن .

وكانت تهمة مدام تكسييه انها سممت أخا زوجها لتضمن لطفلتيها ميراث عمهما الذى كـان ليضيع منهما لو أنه تزوج

واتهم الاثنان الآخران بالاشتراك فى ارتكاب الجريمة .

وعين بعض الخبراء للبحث عن السم وتحليله . فشرحوا الجثة وحللوا البـول والبراز ، وانتج التشريح والتحليل أن بيير تكسييه مات مسموما بالزرنيخ

اما المتهمة الاولى مدام تكسييه فكانت مصرة عـلى أنها بريئة . وقالت أن اخا زوجها اذا كان قدمات مسموما فان يـد طبيبـه الدكتور جان هى اليد الآثمة اذ اعطاه شربة كان قد احضرها معه فى حقيبتـه وكـان ذلك فى اول أغسطس . واضـافت أن حالة المريض بـدات تسوء منذ ذلك اليوم .

وانـكر المتهمـان الاخران مانسب اليهما .

وقدم الثلاثة الى محكمة الجنايات التى ازدحمت قاعتها بجماهير غفيرة ، كما ازدحمت ساحتها وابهاؤها بالذين تجمعوا فى الخارج وحالت بينهم وبين القاعة قوات البوليس الكبيرة .

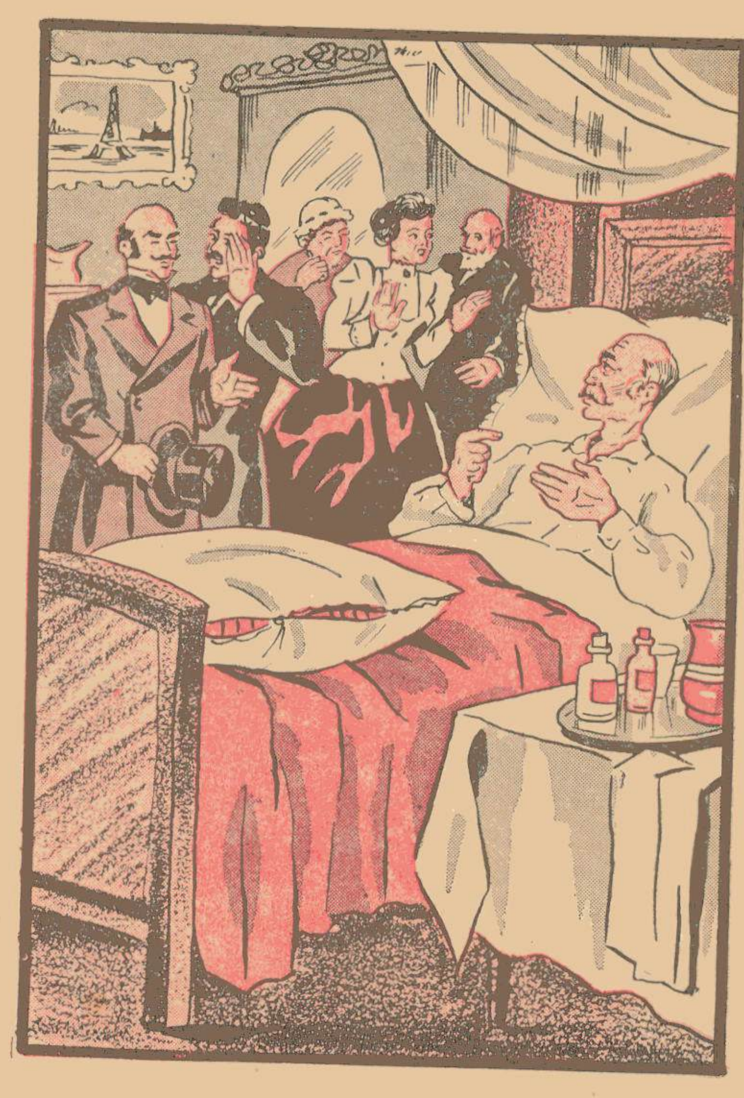
وتولى الاستاذ جاست الافوكاتو العمومى تمثيل النيابة وكان قد حاز شهرة واسعا بمرافعة بليغة فى قضية سابقة اسمها قضيه الاميراند.

وتولى المحامى العظيم الاستاذ لاشو الدفاع عن المتهمة الاولى مدام تكسييه . وتولى الاستاذ ريكار الدفاع عن ابيها المسيو شارلو . وتولى الاستاذ توديير الدفاع عن الخادمة فرانسواز

وتلى قرار الاتهام . وسنلخصه فيما ياتى للقراء : ــ

« توفى المسيو تكسييه فى ١١ أغسطس سنة ١٨٦٧ بعد أن عانى طويلا . وكانت طبيعه مرضه الغريبة ، وسلوك الاشخاص الذين حوله مما ولد فى نفس أطبائه شبهة انه تعاطى سما . ورأوا أن من واجبهم ان يبلغوا النيابة . وفى ٩ أغسطس ، على اثر هذا التبليغ اسرع المحققون فاستجوبوا المريض الذى كان يسلم الروح . واستطاعوا ان يفهموا من مجموع الاقوال والقرائن مايؤكد الشبهة . واسفرت التحريات التى أجريت بعد الوفاة عن جريمة كبيرة باعثها الطمع وقعت فى لامايراى

« كان بيير تكسييه يبلغ الثالثة والخمسين ، صحيح الجسم قوى البناء . وكان يعانى احيانا ازمات داء النقرس . ولكن هذا المرض لم يغير من حالته الصحية العامة . وفى خلال شهر مايو وقع تحت تأثير نوبة جديدة لدائه . وفى بدء شهر يوليو ظهرت عليه لاول مرة اعراض اسهال شديد . وكان يشكو من انه يحس كأن ثقلا لا يمكن تفسيره يرسخ فوق معدته كما كان يشكو ظمأ حادا . ثم ابتدأ يقىء . وظهرت علامات اخرى لا تتصل بدائه الاصلى بسبب . ولم يلبث حتى اخذ يهزل ويضعف على اثر ما كان يرفض كل طعام أو شراب . وفى شهر اغسطس اشتدت الحالة سوءا وتكررت مرات القىء . وتكونت قرحة فى حنجرته حتى البلعوم ، وكان يزدرد بمنتهى



ـ اذا كنت قد سممت فانه الطبيب الذى فعل ذلك بأدويته

المشقة . وظهرت فى البصاق خيوط دموية ومواد سوداء . وكانت رائحة تنفسه كريهة . ثم قضى أخيرا بعد أن قاسى عذابا مرا مدة تزيد على شهر .

« وقد امر المحققون بعد الوفاة مباشرة بتشريح الجثة ، واثبتوا حصول الوفاة بالتسمم كما اثبت التحليل ان السم كان زرنيخا .

« امام هذه الحقائق لم يكن الشك ممكنا ، ليس فقط فى ان الجريمة ارتكبت ، ولكن ايضا فى ان دس السم دبر بحذق شديد وبانتظام يومى تقريبا بطريقة تودى بالضحية الى القبر رويدا رويدا ...

« لم يكن ممكنا أن يظل الفاعلون مجهولين وان تظل الشبهات هائمة فى الضلال . والشخصان الوحيدان اللذان كانا بجوار المجنى عليه هما الخادمة فرانسوار ريشا وارمل اخيه . فهما وحدهما اللتان كانتا تجهزان له طعامه وشرابه وتقدمانه اليه .

« هذه الظروف التى اعترفت بها المتهمتان ، علم بها المحققون فى يوم ٩ أغسطس عند انتقالهم الى لامايراى على اثر تبليغ الطبيبين وسرعان ما تبين ان فرانسواز ريشا والارملة تكسييه قد ساعدتا فى ارتكاب الجريمة التى كان مستحيلا تنفيذها بغير مشاركتها .

« كان المجنى عليه بيير تكسييه أعزب يملك فى لامايراى ثروة عقارية تقدر بما يزيد على ثلاثمائة الف فرنك . وكان له اخ هو اوجست الذى تزوج بالآنسة انورين شارلز ، ثم توفى بعد سنوات تاركا لها طفلتين .

« اصبحت مدام اوجست تكسيه ارملا . ونشأت بينها وبين اخى زوجها بعض منازعات بشأن تصفية تركة زوجها ، ولكنهما لم يلبثا ان تصافيا ، وكانت هى تاتى الى لامايراى فى فترات متباعدة لزيارته .

« وكانت الطفلتان هما وارثتا عمهما بيير تكسييه . ولكن الارث كان بعيد الاجل نظرا الى سلامة صحته .

« وفى الحقيقة أن اخلاق مسيو تكسييه لم تكن تخلو من الشذوذ وكان يصرح بكراهته للزواج . ولو تزوجت ارملة اخيه فانه كان عليها ان تخشى من انه قد لا يتردد فى أن يوصى بما يملك الى بعض اقربائه خصوصا ابناء عمه الذين كان يحتفظ معهم بعلاقات حسنة .

« تحت هذه العقيدة ذهبت فى ٢ يوليو الى لامايراى لزيارة اخى زوجها الذى كانت أزمة مرضه قد هاجمته من جديد . فامضت معه الليل ثم تركته فى صباح ٣ يوليو .

« وفى اليوم التالى ٤ يوليو استدعى المريض الدكتور جان ليفحصه فوجد عنده اسهالا حادا وآلاما فى المعدة .

« تركت مدام تكسييه شقيق زوجها فى عناية خادمته فرانسواز ريشار وحدها . ولكنها عادت فى ١٥ يوليو الى لامايراى . وفى هذه المرة ، على خلاف العادة ، اقامت فى القصر مع خدمها وابنتيها ومربيتهما كأنما كانت تتنبأ بأن المرض سيطول ويشتد ، ومنذ هذه الفترة زادت حالة المريض سوءا . وفى ١٦ يوليو قرر الدكتور جان سوء الحالة التى صحبتها اعراض عجز عن تبين أسبابها خصوصا اعراض احتراق الحلق والاحساس بثقل شديد فوق المعدة .

« تقدم المرض بسرعة . وفى ليلة اول اغسطس ظهرت ازمة حادة جدا . وفى هذا اليوم كان الطبيب قد قرر اعطاءه شربة تناولها فى الصباح وانتهت بقىء شديد استمر جزءا كبيرا من النهار . وفى المساء قللت اليد المجرمة التى كانت — كما أثبت التشريح — تقدم له السم يوميا بكميات صغيرة ، قللت هذه اليد من كمية السم المعتادة حرصا وتحرزا . وفى الليل وقع المسكين فريسة لآلام شديدة جدا ، وتابع القىء ، وكانت شهقاته (الزغطة) تسمع فى جميع انحاء القصر .

« اصداء هذه الآلام التى كانت تتجاوب فى البيت كله ، انشأت عند مدام تكسييه شعورا هائلا . وفى منتصف الليل استدعت خادمة

لهـا اسـمها جـوزفين بروسار واخبرتها بأنها مريضة جـدا . وكان العرق يغرقهـا وفى حـالة عصبية أعجزتها عن السيطرة على نفسها وقالت لها

— لم أعد استطيع أن أطمئن على الحالة التى يعانيها أخو زوجى المسكين ، فلست أرى بارقة أمل . وهاأنذا أفقد أيضا معونة كبرى ، وسن ابى لاتسمح لى بالاعتماد عليه . .

« وفى الصباح المبكر أرسلت مدام تكسييه تطلب أباها فرانسو شـارلو الـذى كان فى مقاطعة مجاورة

« وفى أثناء المرض كان يعالج المريض الطبيب الدكتور جان أولا ثم الدكتور لودان الذى رغب اليه الدكتور جان فى أن ينضم اليه . وكانا يعودانه فى زيارات طويلة ولكن طبيعة تلك الامراض الغريبة المتتابعة غلبت كل عـلاج لهما . ولكى يستطيعا أن يراقبـا الحالة جيـدا ويكتشفا خفاياها ، أمرا بأن يحتفظ لهما ببعض قىء المريض لفحصه وشاركهما المريض نفسه هذه الرغبة . ولكن مدام تكسييه والخادمة فرانسـواز ظلت الى آخر لحظة تأبيان تنفيـذ هـذه الرغبة الا بعد ملاحظات قاسـية ففى ٢٧ يوليو أمر الدكتور لودان متشددا بالاحتفاظ بالقىء واعاد الكرة فى ٢٩ ولـكنهما احتجتـا بالنسيان . وفى بعض المرات كانتا تقدمان قليلا من البصاق بكميات لايمكن اسـتخراج نتيجة منهـا فاحتج بشدة على هذا التصرف وفى اول أغسطس كرر أمره ولم ينفذ . وفى ٢ اغسطس كرر الطبيبان معا نفس الامر ولم يطاعا . وان النسيان الذى تزعمه المتهمتان ليثير منتهى العجب نظرا الى أن المواد البرازية والقيئية كانت تلفت النظـر .

وأخـيرا فى ٦ أغسطس اسـتطاع الطبيبان أن يحصـلا بنفسيهما على بعض هذه المواد . وأثناء عملهما دخلت الغرفة مدام تكسييه وسألتهما مندهشة عما يفعـلان ثم الحت فى أن يجـربا الفحص أمامها حالا . ولم يجبها الطبيبان طبعا الى طلبها . وفى ٩ أغسطس احتفظا بكمية أخرى ونتج من الفحص أنها تحتوى على الزرنيخ

« وقـد لاحظ الدكتور جـان أن القيء لا يحدث فى الغالب الا ليلا بعد ان يتناول المريض بعض المرق الذى كانت تعده الخادمه فرانسواز وتقدمه هى أو مدام تكسييه اليه

« وظهرت من التحرى ظروف وقرائن محددة تجمعت مستندة على هذا الدليل تبرهن عـلى ان بيير تكسييه مات مسـموما وان هذه الجريمة قـد ارتكبت بفعل المتهمتين اللتين كانتا وحـدهما بجانب فراشه .

« وهذا الدليل يمكن أن يزداد تأكدا من قرينة خطيرة امـكن اقتناصها بعد وفاة المجنى عليه » ففى ليلة ١١ أغسطس ، بينمـا كـان بعض الغرباء يقفلون عينى المجنى عليه بعد ان أسلم الروح كانت هاتان المرأتان فى المطبخ .

قالت مدام تكسييه انها لا مسلحه لها فى وفاة أخى زوجهـا . وان تركته ستكون لهـا من المنغصات ثم أضافت قائلة (ثم انى لا أعرف اى نوع من السـم . أنا أعرف ان هناك شيئا اسمه الزرنيخ ولكنى لم أره فى حياتى) .

« وأجابت فرانسـواز بانهـا لا تعرف السـم أيضـا وانه من المدهش أن يفرض ان سيدها مات مسموما

« وكان المسيو جوبى عمـدة الناحية من المساهمين فى التحقيق ، ولفت هذا الكلام انتباهه لانه يدل على ان المتهمتين اعلنتا مقـدما انهما لا تعرفان اى نوع من السم ، وانهمـا لم تريا الزرنيخ مطلقـا وهو المادة التى تقرر اخيرا انهـا استعملت فى ارتكاب الجريمة .

« وبينما كانت هذه المأسـاة تدبر بيد مدام تكسييه وخادمة المجنى عليـه ـ ظهر ان هنـاك شخصية اخرى هى شـخصية والد مـدام تكسييه المسـيو فرانسـوا شارلو الذى يدل سـلوكه وافعاله عـلى اشتراكه المباشر فى الجريمـة بمساعـدته التى قدمها للمتهمتين المذكورتين لتنفيذها .

« المتهم فرانسوا شارلو الذى كون ثروة من شراء وبيع الاملاك العقارية ، رجل لم يسـتطع ان يكسب احترام الناس ، فانه فى الايام الاخيرة فقد كل اعتبار له لصلته بشركات تجارية مشبوهة ،

ولعلاقات صداقة له برجل مجرم هو مارتان ريو الذى ارتكب اربع جرائم تسمم وقدم الى محكمة الجنايات فى العام الماضى

« وفرانسوا شارلو يشارك ابنته مدام تكسييه اطماعها فى ثروة المجنى عليه ، فانه مثلها كان ينتظر لحفيدتيه تركة عمهما بيير تكسييه ، فضلا عن انه له مصلحة شخصية ومباشرة فى موت بيير تكسييه الذى كان يدينه فى مبلغ ثلاثين ألف فرنك مستحقة الدفع فى الشهر المقبل .

« وفى خلال شهر اغسطس - أى فى فترة الانتخابات الفرعية - لم يشترك فى المعركة الانتخابية على مألوف عادته ، فلما سئل فى ذلك قال انه قلق على بيير تكسييه اخى زوج ابنته وقال (ان حالته سيئة جدا . ولا اعرف بماذا هو مريض . انه لا يفعل الا ان يقىء . ليست هناك وسيلة للمقاومة) .

« لم يقم فرانسوا شارلو فى لامايراى كما فعلت ابنته . ولكن ابتداء من ٢ اغسطس وهو اليوم الذى ارسلت اليه ابنته تطلبه على اثر الازمة العصبية التى اصيبت بها ، فانه اخذ يكرر زياراته .

« وفى ٩ اغسطس على الخصوص ذهب الى لامايراى فى الساعة الرابعة صباحا كى يصل قبل الاطباء الذين كانوا يعودون المريض فى زيارات صباحية . وسأل المريض عما اذا كان يتابع القىء وعما اذا كان يتعاطى المرق يوميا ثم أضاف : (يجب ان يتناول قليلا من المرق دائما)

« وفى ليل ٩ اغسطس وفد المحققون الى لامايراى . فى هذه اللحظة كانت قد نبتت شبهة عن جريمة تسميم . ولكن احدا لم يكن قد اتهم او اشتبه فيه . وكان من الطبيعى اذن ان مدام تكسييه واباها يضمان مجهودهما الى مجهود المحققين والاطباء لاكتشاف الحقيقة ولكنهما لم يفعلا . وكانت خطتهما الاولى ان قالا انه اذا كانت هناك جريمة تسميم قد ارتكبت ، فيجب ان تلقى شبهتها على الاطباء .

« وقالت مدام تكسييه للدكتور جان (انك انت ياسيدى الذى اوصلته الى هذه الحال . فالدواء الذى اعطيته له يوم الخميس لم يستحضر من الصيدلية وانما احضرته معك فى حقيبتك لقد اخطأت . ومنذ تلك اللحظة بدأ المريض يسير من سيء الى أسوأ) .

« ونظرا الى ان مدام تكسييه واباها ادركا مقدما ان هذه الخطة لاترتكز على اساس فانهما جهزا طريقة اخرى للدفاع فأصرا على استدعاء عدد من الاطباء امام المجنى عليه ، وذلك بغرض ان يهدما بواسطة الخلاف الطبى المأمول والتعارض فى التشخيص كل قيمة للطبيبين اللذين توليا العلاج .

« جاء الطبيبان الدكتور شفالرو والدكتور مانييه ، وعندما علما من الدكتور جان بتفاصيل الموضوع رأيا ان ينسحبا .

« وفى ١٠ اغسطس وفد طبيب آخر هو الدكتور موران . وبعد ان فحص المجنى عليه اعطى رأيه بانه كان عنده سرطان فى المعدة . هذا بينما ان التشريح اثبت غير ذلك . وفى الحال طلب شارلو وابنته شهادة كتابية من الدكتور موران برأيه . فاعطاهما اياها . ثم لوحا بها فى وجه الدكتور جان قائلين (هذه هى وثيقتنا) . والى هذا الوقت لم يكونا قد اتهما ، الا انهما وبيير تكسييه مازال حيا فى ضميريهما كانا يبحثان مقدما عن وسيلة لهدم الاتهام الذى لم يكن قد ولد بعد . ولكنهما كانا يحسان بانهما لن يفلتا .

« كان بيير تكسييه رجلا محسنا ، ليس له عدو ، وقد أسف عليه الناس جميعا . واحدثت وفاته فى شعورهم صدعا شديدا اذ تذكروا عدة جرائم من نفس النوع قد ارتكبت فى نفس المقاطعة وتركت فى الشعور العام أثرا لايمحى » . .

وتلا ذلك تكييف التهمة بالنسبة لكل واحد من المتهمين .

* * *

بعد تلاوة قرار الاتهام سأل الرئيس المتهمين فأجابوا جميعا

مؤكدين براءتهم . ثم سمعت المحكمة والمحلفون مائة وثلاثة من الشهود بين اثبات ونفى !

وقام الافوكاتو العمومى فترافع مرافعة قوية قاسية يلخصها قرار الاتهام الذى اثبتناه فيما تقدم الا انه عاد فأعلن تنازل النيابة عن اتهام الخادمة فرانسواز لعدم كفاية الادلة بالنسبة لها . ثم عن اتهام المسيو فرانسوا شارلو . ولكنه اصر على اتهام مدام تكسييه وحمل عليها حملة شديدة وناشد المحلفين اخيرا ان يصدروا قرارهم بادانتها .

* * *

وجاء دور الاستاذ شارل لاشو ، وسنجتهد فى ان نلخص مرافعته تلخيصا تتركز فيه بقدر الامكان وجهة نظره فى القضية ، ونفصح به - بقدر الامكان ايضا - عن مبلغ ماتتسم به مرافعات هذا المحامى العظيم من فيضان العواطف ونبل الاحاسيس : -

« حضرات القضاة . حضرات المحلفين

ان براءة المتهمين الثلاثة قد اعلنت فى جميع الضمائر . واذا كان الافوكاتو العمومى مازال يشك ، فانه الوحيد الذى يصر على هذا الشك . ويبدو لى ان الرأى العام قد تفضل فأسدى جميع العزاء الى أولئك التعساء الذين كانوا فريسة خطأ قضائى مؤلم .

من هم المتهمون ؟

سأحاول ان اخطط لكم صورا تقريبية عنهم

أية امرأة هى مدام تكسييه ؟

ان مدام تكسييه سيدة نبيلة ، تجمعت فى قلبها كل الفضائل ، وبعد كل الآلام التى كابدتها ، اسمح لنفسى ان اضيف الى مزاياها صفة الشجاعة .

انها كشابة ، كانت مثالا لكل قريناتها .

وكزوجة ، اسعدت رجلا طيبا . وعندما فقدته دخل الترمل الى قلبها وخيم فوقه ولم يخرج أبدا . .

وكأم ، كانت خير أم لطفلتيها الملاكيها ، ولعلكم تذكرون تلك العبارة التى نطق بها أمامكم قلب سيدة كريمة اذ قالت : « إن مدام تكسييه ام حتى بأخمص قدمها . . . أم كاملة »

وكسيدة ذات مال ، اعطت كثيرا ، وعرفت كيف تعطى ، فان تبذل الذهب على الفقراء واجب شائع ولكن أن تذهب بنفسك وتقرع باب الفقير وتجلس على فراشه ، وتحمل اليه مع النقود ، العزاء والحنان ، فهذا ايها السادة هو احسان النفس العالية ، هو الاحسان الذى امتازت به مدام تكسييه .

هاكم اذن جريمة التسميم . . وهاكم المرأة المفترسة التى يقدمها الافوكاتو العمومى على انها ارتكبت جريمة تسميم من أجل المال . .

وهذه الخادم فرانسواز التى أحبها وأشد على يدها من اعماق قلبى . . اية بساطة . واى صفاء طوية ؟ انها تجهل كل شىء . . ولا تتصور أن العدالة قد تقع احيانا فى أخطاء دامية . . لم تكن حياتها الا البساطة والطاعه والوفاء . وكان المسيو تكسييه يعلم ذلك حق العلم ، وطالما خشى أن يفقد مثل هذا الكنز .

. . أما الثالث . . مسيو شارلو ، فهو الرجل القوى ، الكريم النبيل . . . وأيضا الرجل قتلتموه ادبيا بهذا الاتهام الشنيع .

استطاع هذا الرجل بامانته ودأبه أن يكسب ثروة طائلة . وكان مثالا عظيما لجميع أولئك الذين يعرفون كيف يشتغلون ويحتفظون فى الوقت نفسه بشرفهم .

ظلت نفسه بلا لوثة . . وكان رجلا مبذرا . الكل يقولون عنه ذلك . ولم تجلب له ثروته الواسعة الغيرة أو الحسد ، وعرف كيف ينتزع احترام الجميع وتقديرهم

قدره شركاؤه . وقد سمعنا زوجة شريك له وهى تدلى بشهادتها ، تقول أنها بعد وفاة زوجها ، وصلها منه مبلغ من المال لم تكن تنتظره . .

لقد بارك الله له في عمله . فكان مثالا مشجعا لاولئك الذين يجمعون مع العمل ، الاخلاص والامانة .

ان كرم هذا الرجل ليضيء في هذه القائمة كما تضيء اشعة الشمس ، ويشير لكم الى أنه اكتسب ثروته بكل كفاية ، وبكل شرف .

أن الافوكاتو العمومى يتكلم عن شوائب تثبت عكس ذلك ، فليصرح لنا بها . انى لا اريد ان تظلل غيمة واحدة صفاء تلك السمعة الناصعة . انني اريد ان يخرج شارلو من هذه القاعة عن طريق بابها الكبير الذى يخرج منه منه الابرياء

لقد اكتسب هذا الرجل ثقة الجميع ، واختارته المحاكم كخبير مرات عديدة ، وعندما تختار العدالة مساعديها فليست تختار الا من تقدرهم — فلا تحاولوا أن تنزلوه من ذروة شرفه التى وضعتموه بأنفسكم فيها .

هؤلاء هم المتهمون الثلاثة

على بعد قليل منهم كان يعيش رجل طيب ، يليق به أن يكون عضوا فى عصبتهم ، لانه كان نبيلا مثلهم ، ومحسنا مثلهم . وعند ما صدمه موت اخيه ، عاهد نفسه أن يعيش اعزب واصبح الاب الثانى ليتيمتى اخيه ، والعواطف الحية التى كان ينطوى عليها لابى هاتين الطفلتين ، ظل يضمرها لامهما التى قدرها كما قدرها كل الذين يعرفونها .

مع أن بنيته كانت صحيحة ، فانه أصيب بداء النقرس . وفى شهر مايو سنة ١٨٦٧ اشتد عليه هذا المرض . وفى شهر يونيو احتدت الازمة .

لم تعرف مدام تكسييه بهذا المرض الا حوالى آخر يونيو . ونظرا الى مشاغلها لم تتمكن من الحضور الى لامايرای الا فى ٢ يوليو لتمضى يوما واحدا . ثم عادت فى ١٥ يوليو واقامت بجانب المريض مع اسرتها ... ومات بيير تكسييه مسموما فى ١١ اغسطس .

تقول النيابة لمدام تكسييه . لقد كانت تلك منفعة من موته ، لذلك فانت القاتلة . واني اطلب عقابك ...

اى باعث قد يكون استولى على هذه المخلوقة الطيبة التى يتمنى كل انسان ان يكون اخا لها

المال ؟ ...

انها تمتلك ثروة قدرها مليونان من الفرنكات ، وكل باب لبذخها ليس سوى الاحسان وتوزيع الصدقات .

كانت ثروة المسيو تكسييه ثلاثمائة الف من الفرنكات ... أى اقل من ربع ثروتها .. وتلك الثروة كان مآلها بكل تأكيد الى ابنتيها ..

ولكنك يا سيدى تقول ان الطامعين لا يكفيهم الامل .. فاين هو برهان الطمع ؟ ..

اذا كان المسيو تكسييه قدمات مسموما ، فمن الذى قتله ؟ أعلى أنا أن أجيب ؟

لم يكن لى الشرف بأن اكون المدعى العام ..

انك يا سيدى الافوكاتو العمومى تشهر فى وجوهنا سلاحا ذا حدين ثم تقول : —

« انك انت او الدكتور جان .. احدكما قتل المسيو تكسييه » ..

لو كنت انا الدكتور جان ، فما اتهمنى بهذا التخيير ، لانى فى النهاية سأثبت لكم انى لم اكن القاتل ..

ولكنى لست الدكتور جان . وبما انى محامى الدفاع ، فانى آخذ الحد الذى يعجبنى أن آخذه من السلاح المشهر .

انى اكره ان السلاح ذا الحدين الذى شهره الافوكاتو العمومى فى وجهنا ، هذا السلاح مرعب بالنسبة للدكتور جان .. انه يفتح الباب للافتراضات ، وللبحث عن المستور .

وضح الافوكاتو العمومى هذاالغرض المزدوج ·· ان المسيو تكسييه مات مسموما بتعاطي مادةسامة قدمت اليه اما بكميات صغيرة ، واما مرة واحدة فى أول أغسطس ·

حسنا · انى أقبل أى وأحدمن افتراضين يختاره الافوكاتو العمومى ، فأى واحد منهما لن يمسنى بسوء ··

فهل هو يريد ان يقول ان التسميم وقع بتقديم السم على مرات وبكميات صغيرة ؟

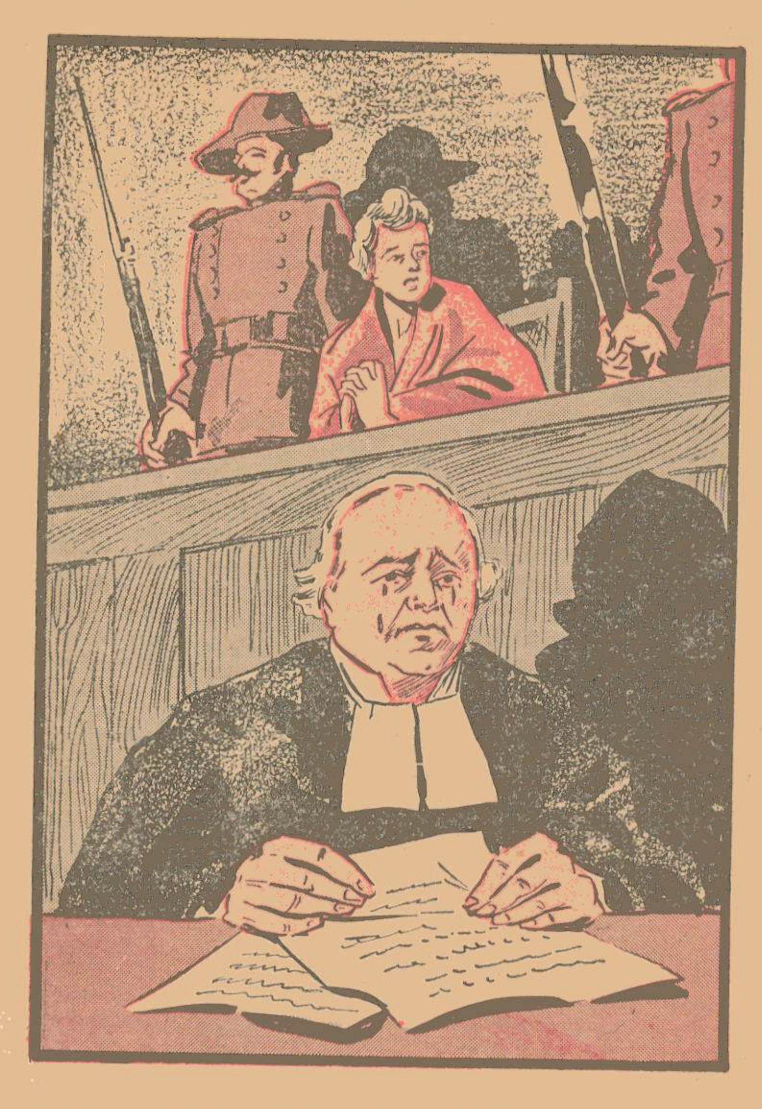
لقد قال الدكتور جان نفسه ان المسيو تكسييه عند مرضه بداء النقرس ، لم يكن يقىء ··· بل كان مصابا بامساك ·· ومع ذلك فان شهودا عديدين قدقرروا انه فى خلال شهر مايو وشهر يونيه كان يصاب باسهال حدوببعض الغثاء ·· فاذا صح هذا الافتراض ، وصح قول الشهود، فليس يعقل أن نكون نحن الذين ارتكبنا جريمة التسمم حيث ان مدام تكسييه لم تحضر الى لامايراى لاول مرة الا فى ٢ يوليو ·

فليقبل اذن القول بأن التسمم وقع فى أول أغسطس ، وقد أثبت لكم الدكتور موران علميا ان هذه هى الحقيقة ·

وعلى هذا الفرض الاخير أيضا، لايد لنا فى جريمة التسمم ، اذ انه فى هذا اليوم -أول أغسطس- أعطى الدكتور جان للمريض الشربة التى تعرفونها · فكانت الآلام - التى كابدها مباشرة بعد الشربة - شديدة بحيث كان من المستحيل عليه أن يشرب أى شىء آخر بعدها ، ولو انه شرب لما عزا آلامه الى غير تلك الشربة· ولهذا لم يتكلم أبدا الا عنها ·

ما هى الافعال المنسوبة الى مدام تكسييه منذ ٢ يوليو الى أول أغسطس ؟

لقد كان عليها أن تبرح لامايراى فى ٣ يوليو تحت الحاح المريض نفسه لتراقب تخزين محصولاتها سافرت وتركت مظروفا عليه عنوانها ليكتبوا اليها عن أنباء المريض · وفى أثناء سفرها مرت على بارتناى وطلبت الى الدكتور جان أن يعود الى المسيو تكسييه



ولما رفع المحامى العظيم وجهه كانت عيناه مليئتين بالدموع
(ص ١٣٦)

« هى » القاتلة ... تدعو الى المراقبة ، الطبيب الواسع الشهرة - كما يعرف الجميع - فى دراسة السموم ...

ولما لم تتلق من ٣ الى ١٥ يوليو أنباء عن المريض ، انهت أعمالها ، وسافرت فى ١٥ يوليو الى لامايراى حيث أقامت هناك هى وطفلتاها ومربيتهما وجميع خدمها .. . اذن فقد كانت تكاثر من شهود جريمتهما ... وقد أرادت أن تجعل من ابنتيها البريئتين متفرجتين على اجرامها .

وبين ٢ و ١٥ يوليو أمر الدكتور جان بأن يعطى المريض حبوبا ... ولم يكن هذا الدواء موفقا ، ففى ٤ يوليو سببت هذه الحبوب للمريض آلاما شديدة .. وفى ٨ يوليو ظهرت مضاعفات خطيرة نتيجة للتسميم الذى تم فى ٢ يوليو بغير شك ...

وفى ١٤ يوليو - اى بعد ثلاثة عشر يوما من رحيل مدام تكسييه - اعلن المريض لعدة شهود انه يحس بثقل شديد فى قلبه ، وبرغبته فى ان يقىء باستمرار ، وكان بصاقه مخاطيا

اذن فمن الذى قارف التسميم من ٢ الى ١٥ يوليو ؟

ان النيابة نفسها تعترف بانها ليست فرانسواز . ومع ذلك ، ففى هذه الفترة ساءت حالة المريض بعد تعاطيه الحبوب او اى شىء آخر ..

وصلت القاتلة .. فى ١٥ يوليو . وفى ١٦ يوليو ارسلت تستدعى الدكتور جان . ولكن الدكتور جان كان قد رحل الى باريس سعيا وراء صليب اللجيون دونور الذى كان خياله يقض مضجعه . وعندما رجع فى ٢٥ يوليو استدعته القاتلة ايضا الى جانب المريض فوجده فى حالة سيئة جدا . وفى هذا اليوم اعتقد انه مسمم ، ولكنه لم يثبت امام هذا الاعتقاد ولم يلبث حتى نسى كل شىء عنه لدى عودته الى بارتناى ..

وفى ٢٧ تجددت شبهاته ، وكان قد طلب فى ٢٥ بعض المواد القيئية والبرازية من متخلفات المريض . وقد طلبها همسا ، وعندما علم ان احدا لم ينفذ مره لم يغضبه هذا ، وفى ٢٧

كرر نفس الطلب لتجهز له هذه المواد فى ٢٩ . وفى هذا اليوم احتفظوا له بشيء منها ، ولكنها كانت كمية صغيرة رآها غير كافية .

ومع ذلك فقد كانت عدة المواد البولية التى كانت تصلح وسيلة مؤكدة للتحقيق . . . ولكنه لم يهتم بان شغل نفسه فى ذلك .

وفى يوم ٢٩ تأكد نهائيا من وقوع التسميم على حد قوله . . حسننا . . من اجل العلم الذى يحمله الدكتور جان . ومن اجل شرفه أيضا ، اعتقد انه فى هذه الفترة لم يتأكد من وقوع التسميم . . والا فلو انه تيقن من ذلك لاسرع يفعل شيئا ينقذ به المريض . . ولكنه لم يفعل شيئا .

وفى أول اغسطس ، أمر بان يعطى المريض شربة . وهذا من حقه فالاطباء يستطيعون فى كل وقت ان يامروا للمرضى بالحقنة وبالشربة . ولما كان واثقا من مزايا المانيزيا اراد ان يستعملها ، وذهب ليحضرها من عربته . . بينما كان فى البيت اثنا عشر كيسا مليئة بالمانيزيا .

واثناء اتجاهه نحو العربة ، كانت الآنسة دولاسال — احدى الشاهدات — تراقبه من الحديقة وشاهدته يتناول الحقيبة الرمادية ويخرج منها زجاجة فحصها ثم ردها . . وتناول بعد ذلك الحقيبة السوداء . . وهذه بلا شك حقيبة الشر . . واخرج منها حزمة تحتوى على مسحوق ابيض . . هذا المسحوق هو الذى خلطه بالماء وجعل المريض يتناول منه ثلاث كوبات قائلا له كانه يمزح « سوف تبقى هذه الكوبات الثلاث دائما فى جوفك » . .

لست ادرى اذا كان الدكتور جان قد اخطأ . . لست اعرف اذا كان قد فعل ذلك عن عمد أو عن خطأ . اننى محامى الدفاع . . ولكن عندما يقول لنا الافوكاتو العمومى أن من المستحيل الخلط بين الزرنيخ وبين المانيزيا ، اشهر له هذه الجريدة التى وصلتنى من باريس صباح اليوم . جريدة الافينير

ناسيونال .. فى هذه الجريدةان شخصا تناول الزرنيخ معتقـدا خطـأ انه مانيزيا ، وعانى آلاماشـديدة — وهنا اذكركم بأول اغسـطس — ثم مات بعـد ايام لعل الله سـاق هذه الفاجعة الاليمة لتـكون فى خدمة هـذه القضية .

يقـول الافوكاتو العمومى ان هناك فرقاكبيرا بين هاتين المادتين فى الوزن النوعى ... ولكن هذا شىء لايدركه الا ميزان الصيدلى وعندما نخطىء نأخذ بالمصادفة ولا نزن ..

بعد أن تناول تكسييه المسكين هذه الشربة وقع فريسة لحـالة فظيعة ، فكان يتلوى من شـدة الالم ويخرج عواء كعواء الـكلب وقد سمعتم من احد الشهود انه كان يقول عن الطبيب . « انـه قتلنى بهذه الشربة » كأن حديدامحميا بالنار يحرق أحشائى .

وعندما رأت ذلك مدام تكسييه . . عندما رات الجسـد يفنى ، أرادت انقاذ الروح فاسرعت تستدعى قسيس بوليو ، هـذا القسيس النبيل الذى سمعت —وأنا شديد الاسف — الافوكاتو العمومى يشـير ضـده تلميحات جائرة . .

وفى صبيحة هـذا اليوم اسر الدكتور جان الى مدام تكسييه فى لهجه جريئة أن اخـا زوجهـا لن يعيش اكثر من خمسـة عشر يوما . .

وفى هذا اليوم أيضا كانت مدام تكسييه قد شاهدت الآلام التى عاناها المسكين المقضى عليه بالهلاك . . وكـان هـذا مما لاتحتمله أعصابها .

وفى ٢ أغسطس وصل الدكتورجان الى لامايراى ومعه الدكتور لودان .

لم يـكن لى شرف التعـرف بالدكتورلودان ، وقد يكون أشرف رجل فى العالم . . ولكنى اقرران به عيبا كبيرا . . . وذلك هو فقدان الذاكرة ، فأمـام قاضى التحقيق ، فى شهر أغسطس كان قد نسى كل شىء . . ولم تعـد اليه ذاكرته الا فى الجلسة — فى شهر مارس . . — وبعد ان أدلى الدكتور جان بشهادته . وكـان التشابه بين أقوالهما مما يدعـو الى الدهشة ، فالدكتورجان يؤكد

لنا انه لم يكن البادىء بالحديث الى زميله عن التسميم . فى شهر أغسطس قال الدكتور لودان أن زميله اخبره بأن المريض فى حالة تسمم فأبدى دهشته لهذا النبأ ولم يشاطر زميله رأيه الا بعد ان استعاد فى ذاكرته سلسلة الحوادث التى التفت اليها .

واذن ففى اليوم التالى للحقنة التى قلبت كيان المريض ، يحضر الدكتور جان معه طبيبا يخبره بتسمم مريضه . . والدكتور جان برغم انه اكتشف التسميم فى ٢٥ يوليو . . كلا . . كلا . . فالى اول اغسطس لم يكن الدكتور جان يعتقد بحصول التسمم . . والدليل على ذلك تذاكره الطبية

وقد سمعتم نظرية أدهشتنى ، فقد تمت فى هذه القاعة مواجهة بين الدكتور جان والدكتور موران وقال هذا الاخير « ان الاطباء لم يعتقدوا بوجود التسميم . لانه يوجد ترياق ضد السم هو خليط الايدرات مع بيروكسيد الحديد » .

وقد نطق الدكتور جان رداعلى هذا بكلام سريع ، يخيل الى انه ود بعد أن قاله أن يسحبه . . قال « لا يجب ذلك لان هذا الترياق اذا كان يشفى المريض ، فانه يخفى معالم التسميم اذا أردنا التحليل بعد ذلك » . . .

فرد الدكتور موران عليه قائلا « بدلا من أن تهتم بتسليم مجرم الى يد العدالة . كان خيراً أن تنقذ حياة رجل » . . .

لم يقل الدكتور جان سوى أن كرر الكلمات التى قالها للدكتور شفالرو « اعتن به كما تشاء ولكن لا تقرب احشاءه ولا تدخل فيها شيئا لاننا سنحللها فيما بعد » . .

نعم ايها السادة ، لقد سمعتم هذا الكلام ، وستقراه الدنيا . . ولكم اود ان يتمكن الدكتور من ان يعود فيسحبه ، لانه اخيرا رجل مرضاه ، ومن المستحيل عليه أن يترك مريضا يموت ليأخذ بخناق القاتل الى ساحة العدالة ، وليضفر لنفسه من احشاء المسموم اكليلا من الغار ، ويقتنص من موته مجد اكتشاف جريمة التسميم . .

فى ٢ اغسطس لم يكن الدكتور جان يشك فى التسميم ، ولكن كان واثقا .. ومع ذلك فقد ترك مريضه ثلاثة ايام وثلاث ليال من غير أن يعوده.. تركه بلامعونة، بين ايدى قتلته ومسمميه
يجب أن استخدم كل شجاعتى وكل ارادتى لاعبر عن اعمق شعور الاحتقار الذى يفيض به قلبه .

كانت هناك الانتخابات التى كان الدكتور جان يرشح نفسه فيها . وقد يكون هذا عملا سياسيا ، ولكنه ليس عملا انسانيا ولا لائقا بشرف المهنة .

اذا كنت يا سيدى تريد ان تنتخب عمدة ، فيجب الا تكون طبيبا ، واذا كنت لا تريد ان تفارق ناخبيك ، فأوص أحدا غيرك بان يسهر على مرضاك .

ان هذه خطيئة لا يدفع ثمنها عنك كل نياشين العالم
اذا كان ذلك الرجل قد سمم بيد غير يدك ، فانك تركته يموت
ظل المريض اذن مهجورا خلال ايام ثلاثة ، ولم يعطوه ترياقا ضد السم .. ولم يعد الاطباء الا فى ٦ اغسطس .

عاد الدكتور جان والدكتور لودان معا يأخذان مواد من متخلفات المريض فى زجاجة ..

تركه الطبيبان من يوم ٢ الى يوم ٦ اغسطس .. ثم تركاه من ٦ الى ٩ اغسطس حيث عاداه فى الصباح ، ثم تركاه قائلين انهما سيعودان فى المساء حاملين له دواء .. وعادا فى المساء فعلا .. ولكنهما عادا ومعهما قاضى التحقيق والنائب العمومى ..

هى هى الوقائع ، وانها لتتسلسل بشكل مؤلم . جاء المحققون الى المريض فقالوا له « انك مسمم » وقد سممك الاشخاص الذين تحبهم » ..

كلا . لست اتصور لوحة ابشع ولا ادعى الى الاسى يمكن ان تبتكر شرا من هذه اللوحة .

كانت قلوب المحققين تخفق قبل ان يقتحموا على المريض غرفته ويصارحوه بحقيقة حالته .. فتكفل الدكتور جان بذلك ،

ودخل غـرفة المريض . وقـد سمعتم يا حضرات المحلفين ماذا قال له ..

ـ انك تمـوت . وان العـلم لعاجز عن انقاذك . كن مستعدا لتعلم انك تموت مسموما . وكن مستعدا لتعـلم ايضـا انالذين سموك هم أولئـك الذين كانوا أعز الناس عليك واحبهم اليك

لماذا لم يتركوا هـذا المسكين يموت فى سـلام ؟ لقد كانت له زوجة أخ هى محل عطفه الوحيد وكانت له كـذلك خادم عجـوز قامت على العناية به مدى عشر سنوات .

جاءوا ليقولوا له ان الشرالذىأصابه انما انطلق من يدى هاتين المرأتين !

لم يتصور المسكين ذلك ،وأبىأن يصدق فأجاب :

ـ لا .. لا .. لا أصدق هذا . انكم مخطئون

انه يضحى بجسده ، ويأبىالتسـليم فى قلبه . رفض أن يسلم فى أمله الاخير ، الاملالذىنتمنى جميعا أن نحمله معنا الى القبر .. هذا الامل هو أن مودةوعطفا يتبعاننا الى مرقدنا الاخير

ولكن الدكتور جان قال لههذاالكلام ، ثم شفعه بقوله :

ـ اذا كانت لك وصيه نحبأن تكتبها ، فهذا أوانها ، فكن مستعدا

ولكن المريض أجاب :

ـ لا . ليس عندى ما يدعوالى ذلك

ومعنى هـذا انه لم يفكر فىجريمة أسرته . ولم يشـأ أن يحرمها من أن ترث تركته . ولكنالطبيب كان يفكـر فى كل شىء انه يسىء علاج مرضاه ، ولكنهيسرع فى استدعاء المحققين .. واذا أردتم أن توصوا بوصيةفانهيجعلكم تفعلون

هذه يا حضرات المحلفين هىفاجعة لامايراى التى شقت على كل الافئدة فى فرنسا

فى ٩ اغسطس علمت هـذهالمرأة التعيسة أن شقيق زوجها سمم وانها متهمة بارتكابالجريمةوفى هول ذهولها ويأسهاأسرعت

فارتمت أمامه راكعة على ركبتيهافى حضور قسيس بوليو وسألته ان كان يصدق اتهامها واستحلفته أن يثق ببراءتها

وجاءت فرانسواز بعدها وقالت لسيدها :

- أنحن الذين نرتكب شراضدك ؟

أجاب المريض المحتضر :

- كلا . انهضا يا ابنتى الطيبتين لستما اللتين تقتلانى

وبعد أن واساهما ، ثارغضبا على ذلك الذى جلل بيته بالعار ليستر خطأه ثم كتب هذه السطور :

« اذا كنت قد سممت ، فانه جان الذى فعل ذلك . ماذا يفعل هنا هذا المخلوق ؟ لو كنت أعلم انه سوف يرتكب هذه القاذورات لما سمحت له بالدخول الى منزلى»

ولما انفرد وحده مع الممرضة مساعدة الدكتور جان قال لها هذه العبارة :

- ان جان أحط أنواع الخنازير:

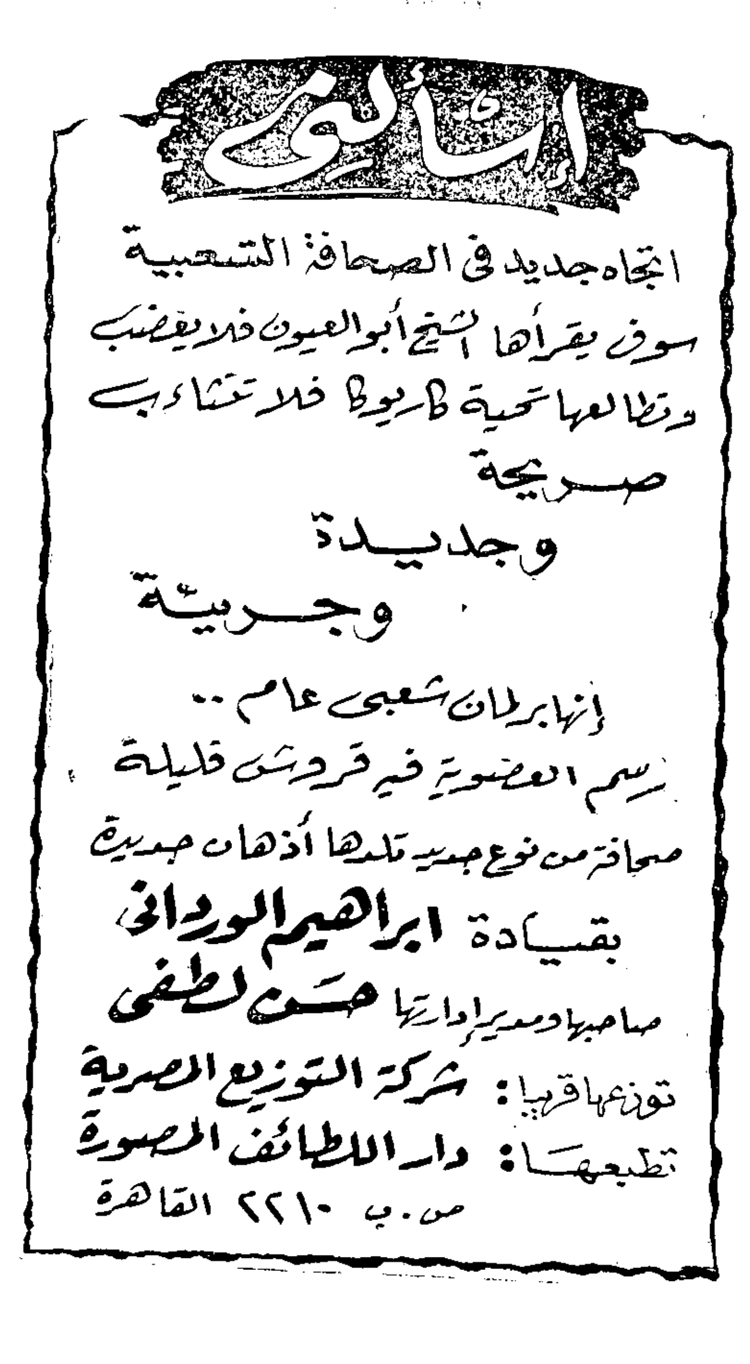
وكانت هذه آخر كلمات المحتضر .. انها الحكم الاعلى ، وستظل محلقة فوق رأس الدكتورجان مدى حياته

* * *

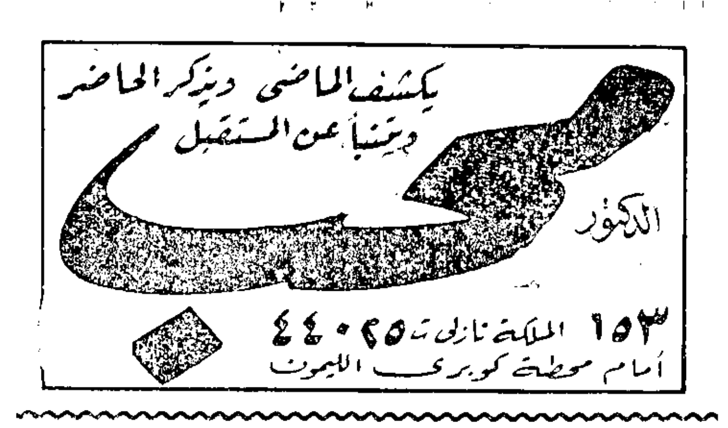
انتقل المحامى العظيم بعد ذلك الى أجزاء خاصة من مرافعة النيابة ومزقها تمزيقا ، ثم اخذ يتكلم عن الخادمة فرانسواز وعن المسيو شارلو ، ولو أن النيابة تنازلت فى مرافعتها عن اتهامهما ، الا أن المحامى الكبير القلب الذى لم يكن موكلا عنهما رأى انهما يستحقان فى مرافعته شيئا من الانصاف عزاء لهما عن شهور العذاب التى أمضياها تحت عار الاتهام

وتكلم اخيرا عن مدام تكسييه وطفلتيها فأثار فى جميع القلوب لوعة ختم بها على مرافعته بين تصفيق شديد تعالى من أكف النظارة ، ثم جلس وأسقط رأسه بين كفيه طويلا . ولما رفع وجهه كانت عيناه مليئتين بالدموع

وبعد أن تداول المحلفون قرروا براءة مدام تكسييه



اتجاه جديد في الصحافة الشعبية
سوف يقرأها الشيخ أبو العيون فلا يغضب
ويطالعها تحية كاريوكا فلا تثاءب
صريحة
وجديدة
وجريئة
إنها برلمان شعبي عام ..
رسم العضوية فيه قروش قليلة
صحافة من نوع جديد تلدها أذهان جديدة
بقيادة ابراهيم الورداني
صاحبها ومدير إدارتها حسن لطفي
توزعها قريبا: شركة التوزيع المصرية
تطبعها: دار اللطائف المصورة
ص. ب ٢٢١٠ القاهرة


يكشف الماضي ويذكر الحاضر
ويتنبأ عن المستقبل
الدكتور
١٥٣ الملكة نازلي ت ٤٤٠٢٥
أمام محطة كوبري الليمون


لا يستغني أي مكان عنه
كرسي هلال الشرق
إذ أصبح الآن يحتل مكان الصدارة
بفضل مزاياه العديدة : من إتقان في الصناعة ، وجودة الخامة . وفي جمال المنظر
زكي محمد وأخيه حلمي
٣٥ شارع
بشبرا مصر ت ٥٢٧٣٥



- بقينا في نص الليل ...
- ميهمش اجزخانة الحرية فاتحة

لن يشكو الأطباء والمرضى من تعذر الحصول على
الدواء اللازم بعد أن تعهدت صيدلية الحرية
بطنطا بخدمة الإنسانية بالليل والنهار

حقا إنها تضحية إنسانية جليلة تنفرد بها أجزاخانة الحرية
بشارع البورصة بطنطا التابعة لمخزن أدوية الحرية
بعد أن تنحت جميع صيدليات طنطا عن الخدمة الليلية

هذا ويعلن **مخزن أدوية الحرية**

شارع احمد ماهر أمام سراى البلدية ت ٢٠١٤

عن استعداده لتمويل مشروع إنشاء عدة صيدليات في عدة بلاد
يديرها فنيا وإداريا عدد من الصيادلة الشبان من ذوي
الطموح على أن تصير هذه الصيدليات ملكا خاصا لهم بعد مدة
وجيزة ... فعلى الراغبين الاتصال بمخزن الأدوية
بطنطا في بحر ١٥ يوما من تاريخ هذا الإعلان

بنك مصر

تقرير مجلس الادارة عن سنة ١٩٤٨

القاه الدكتور حافظ عفيفى باشا على الجمعية العمومية العادية للمساهمين المنعقدة بدار البنك يوم الاحد ٢٧ مارس سنة ١٩٤٩

حضرات المساهمين :

ظهر الان بشكل واضح انقسام العالم الى كتلتين مختلفتين كل الاختلاف فى المذاهب السياسية والاجتماعية ، فأخذ الناس فى جميع الانحاء يرقبون فى اضطراب ما سيتمخض عنه هذا الانقسام بل هذا الصراع العنيف المتزايد . وهم يتساءلون فى قلق هل تنجو البشرية من أحقاد الشهوات وعواقب الخلافات أم تنقلب الامور فتعانى البشرية حربا ضروسا تهدد كيان المدنية والحضارة

ان الساسة يحاولون شتى المحاولات لابعاد شبح الحرب المخيف ويحتاطون لمنع وقوعها تارة بالمفاوضات السياسية وتارة بالتسابق الى التسلح الهائل .وقد سعت أمريكا أخيرا مستعينة بمواردها الضخمة الى انشاء حلف الاطلنطى والى تنفيذ برنامج واسع لتعزيز تسليحها وتسليح حلفائها . ونرجو أن تنجح المحاولات السلمية فيصفو جو السياسة الدولية ويعود الى العالم السلام والاستقرار المنشود .

وبالرغم من ارتباكات السياسة الدولية فان النشاط الاقتصادى يعود تدريجيا فى مختلف البلاد الى حالته الطبيعية . فقد بلغ الانتاج حدا عاليا فى البلاد العربية . وكان لمشروع « مارشال »الفضل الاكبر فى احياء هذا النشاط ، كما كان له أثر واضح فى بقاء مستوى بعض الاسعار على ما هو عليه . وهبوط بعضها الاخر بالتدريج .

ونحن نرجو أن يمتد اثر هذا المشروع العمرانى حتى يبلغ مصر فتفيد منه كما أفاد غيرها من البلاد التى يحتم مركزها الجغرافى أن تشترك فى التعمير العام .

أما فى مصر فقد كان موسم القطن الحالى يدعو الى الارتياح ، ويبدو انه سيكون احسن حالا من الموسم السابق وقد بلغت الاسعار طيلة العام مستوى مرتفعا ومغريا للزراع .

وقد افتتحت بورصة العقود فى اول سبتمبر ١٩٤٨ واستطاع المزارع أن يجد فيها الوسيلة التى تدرأ عنه جشع بعض الوسطاء وان يرعى بها مصالحه بطريقة أجدى .

وقد استفادت البلاد هذا العام فائدة كبرى من تصدير كميات كبيرة من محصول القطن بأسعار مجزية . وبالرغم من ذلك فان ميزاننا التجارى ينوء بعجز يبلغ ٣٢

مليونا من الجنيهات والسبب فى ذلك راجع الى الزيادة الكبيرة فى الواردات التى بلغت قيمتها ١٧٣ مليون جنيه . وهو رقم لم تبلغه من قبل . وذلك بفضل السهولة الملحوظة الان فى عمليات الاستيراد . ونحن لا نستطيع أن نسير فى هذا الطريق طويلا ولا بد من أن نحد من وارداتنا ، بحيث لا تتعدى المواد الضرورية او التى لا تنتجها بلادنا بكمية كافية للاستهلاك المحلى ، وان ننظم دخول البضائع التى لا يمكن الاستغناء عنها وان نسعى بقدر الاستطاعة فى الا نستورد من بلاد الا بقدر ما نصدره لها ، حتى نحمل البلاد التى اعتدنا ان نستورد منها بكثرة على زيادة وارداتها من المنتجات اوالبضائع المصرية ، فيمكننا بذلك موازنة ميزاننا التجارى بقدر المستطاع . ولا بدع فى ذلك فالاتفاقات التجارية التى تعقد بين الدول ترمى فعلا الى مثل هذه النتيجة .

وقد هبطت ارصدة الديون الاسترلينية فى السنوات الثلاث التى أعقبت الحرب ، وطبيعى اننا ندخر هذه الارصدة لتنفيذ مشروعات حيوية لا غنى عنها للبلاد ، وهى فوق ذلك تعتبر غطاء لعملتنا ، فاستعمالها فى الحصول على بضائع غير ضرورية قد يؤدى الى ازمة نقدية .

وقد جرت اخيرا بشأن هذه الديون مفاوضات انتهت لحسن الحظ باتفاق مرضى . .

هذا وتتمتع مالية الدولة بمتانة وثبات ملحوظين . وتدل أرقام الميزانية العامة لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ على انها قد زادت بكثير على أرقام الميزانيات السابقة سواء فى المصروفات أو الايرادات . فأما زيادة المصروفات فيبررها تنفيذ برنامج السنوات الخمس فى عامه الثانى ، وما تعتزم الحكومة أن تقوم به من مشروعات اخرى لتحسين الصحة العامة ، والتعليم ، والرى ، والدفاع .

وامام حاجتنا الملحة المتزايدة ستراعى الحكومة بالطبع تخفيض نفقاتها العادية الى اقصى حد مستطاع . وفى التقارير الاخيرة لديوان المحاسبة ما يمكن الاسترشاد به فى هذا الصدد .

أما ايرادات الدولة التى كانت تعتمد قديما على ايراد الجمارك ورسم الانتاج، فصارت تعتمد الان بصفة خاصة على الضرائب المباشرة التى أخذت اعباؤها فى السنوات الاخيرة تزداد باستمرار . وهاهى الضريبة التصاعدية على الدخل العام فى طريقها الى التنفيذ منذ الان . ولا يمكن الاعتراض على مبدا هذه الضريبة مادامت ستنفذ على جميع الطبقات بالعدل والانصاف . وما دامت حصيلة هذه الضريبة وغيرها ستصرف لنفع أكبر عدد من اهل البلاد

على اننا نرى بعد تقرير هذه الضريبة انه قد أصبح من الطبيعى الغاء ضريبة الارباح الاستثنائية . فقد وضعت هذه الضريبة اثناء الحرب وبسببها . وقد انتهت الحرب من سنوات فزالت الاسباب التى دعت اليها ، لا سيما وقد وعدت الحكومات المتعاقبة بالغاء هذه الضريبة متى تقررت الضريبة التصاعدية .

وعن ذكر الضرائب نرى انه ليس من العدل ولا من المصلحة الغا المادة ٣٥ من القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ الخاص بفرض ضريبة مباشرة عن الايرادات . فان

هذا الالغاء يؤدى فى الواقع الى ازدواج الضريبة على حملة أسهم الشركات المساهمة المصرية وبالتالى الى التفرقة فى معاملة المولين • كما يؤدى ايضا الى عدم اقبال المصريين على المساهمة فى انشاء مثل هذه الشركات • وهذا لا يتفق مع ما ترمى اليه تشريعات الحكومة من وجوب مساهمة المصريين فى رؤوس أموال الشركات الجديدة بما لا يقل عن ٥١ ٠/٠ من رأس مالها •

ويجب ألا ننسى ان الشركات المساهمة هى أساس ارتقاء وانتشار الصناعة فى كل البلاد وهى تعتبر من أهم اركان اقتصادنا القومى •

هذا ولقد كان هذا العام عام نشاط ملحوظ فى استغلال مواردثروتناالطبيعية • وقد أشرنا فى تقريرنا السابق الى البدء فى تنفيذ المرحلة الاولى من مشروع كهربة خزان اسوان وما لاثاره المرتقبة من الخير العميم على جميع أهل البلاد • وهاهو مشروع حيوى آخر فى منطقة اسوان ايضا يبدو أن سيصبح حقيقة واقعة فى المستقبل القريب • ونعنى به مشروع استخراج الحديد • فان بعض تجارب اولية أجراها الخبراء فى تلك المنطقة قداسفرت عن نتائج تبشر بالنجاح •

ونحن نأمل أن نرى قريبا بين الصناعات المصرية صناعة معدنية هامة ، خاماتها من أرضنا •

كذلك تجرى السلطات المختصة بحوثا اخرى لكشف ما تحويه ارض مصر من كنوز دفينة • وقد سرنا ان اكتشف اخيرا بعض شركات البترول ينابيع جديدة فى سيناء ، فكان لهذا الاكتشاف اثر بالغ فى التشجيع على الاستمرار فى البحوث الجارية الان ، وبالتالى فى تعزيز الثقة الاكيدة بمستقبل البلاد الصناعى الباهر

ولم يقف نشاط الحكومة عند ذلك ، بل قد اخذت فى تنفيذ بعض مشروعات الرى الكبرى بمنطقة أعالى النيل فساهمت فى تكاليف هذا المشروع بأربعة ملايين جنيه • ويؤكد بعض الخبراء انه سيترتب على تنفيذ هذا المشروع وعلى تنفيذ المشروعات الاخرى المتممة له زيادة مساحة الاراضى الصالحة للزراعة فى مصر بمقدار مليون فدان • واذا عنينا دائما بزيادة مساحة اراضينا الزراعية ، وبتحسين انتاجنا الزراعى ، وعملنا ايضا على زيادة انتاجنا الصناعى ، فان أهل هذه البلاد سيتمتعون برخاء حقيقى وسينعمون بمستوى معيشة أعلى مما هو الان •

وليس علينا جميعا ازاء هذا كله الا أن نواصل الجهود لبلوغ هذا الهدف المرموق •

ولا يفوتنا أن نشير هنا الى المعرض الزراعى الصناعى الذى افتتحه جلالة الملك المعظم فى اول مارس سنة ١٩٤٩ والذى انتظمت فيه جهود مصر الصناعية والزراعية فى أطار جميل يدعو الى التفاؤل والرضا •

وقد تفضل مليكنا المحبوب بزيارة الجناح الذى اقمناه لمؤسستكم وشركات مصر معا ، وحظيت فيه معروضاتنا بعطف جلالته وارتياحه السامى • ادامه الله للنهضة المصرية راعيا ونصيرا

حضرات المساهمين :

انه لمن واجبنا ان نخطر حضراتكم بمسألة على جانب كبير من الاهمية ، ونعنى بها مسألة الخلاف الذى لم يكن متوقعا بيننا وبين مصلحة الضرائب .

ففى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ طلب بنك مصر - لاول مرة - ان يدفع مبلغا قدرته مصلحة الضرائب بمبلغ ١٩٢ر٦٥٨ر٤ جنيها باعتباره ضريبة على الارباح الاستثنائية على البنك وعلى مجموعة شركاته التى يملك ٧٥ فى المائة على الاقل من أسهمها وذلك عن المدة من سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٤٥

وقد عارضنا قضائيا فى ذلك . ولكن قانون الضرائب يلزم المولين - كما تعلمون - بالدفع اولا حسب التقدير الذى تراه مصلحة الضرائب ثم الالتجاء بعد ذلك الى القضاء ، فاضطررنا الى دفع جزء من اصل المبلغ المطلوب وطلبنا - مع الاحتفاظ بكافة حقوقنا - تاجيل دفع الباقى على سنتين املا فى ان يتم خلال ذلك ، الفصل فى هذا الموضوع .

اما راينا فى هذا الخلاف فهو انه لا يستحق على البنك وشركاته المشار اليها شىء من الضرائب الاستثنائية استنادا الى المادة السادسة من القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٤١ ، وهو القانون الخاص بدعم البنك . ونصها كما يلى : -

« فى تطبيق القانون الخاص بفرض ضريبة على الارباح الاستثنائية تعتبر الشركات التى يملك بنك مصر ٧٥ فى المائة على الاقل من اسهمها جزءا لا يتجزأ من البنك . وعلى ذلك يستعمل مايبقى من أرباحها بعد توزيع الارباح على مساهميها وتكوين احتياطياتها - فى رد مبلغ الـ ١٥٠٠٠٠ جنيه المتقدم ذكره فى الفقرة (ا) من المادة الثانية وعند اتمام رده يلحق ذلك الباقى باحتياطيات البنك الخاصة » (١)

وظاهر بوضوح من نص هذه المادة ان المشرع لم يحسب مطلقا حسابا لان تحصل الحكومة أرباحا استثنائية على شركات البنك التى يملك ٧٥ فى المائة على الاقل من أسهمها . وانما حدد طريقة افادة البنك من أرباح هذه الشركات بالصورة المبينة فى هذه المادة . فغرض المشرع من ذلك هو معاونة البنك على تدعيم مركزه ، ولذلك فقد نصت هذه المادة على أن يلحق باحتياطيات البنك الخاصة مايستحق على شركاته المشار اليها من على ضرائب الارباح الاستثنائية

ونكتفى الان بهذا البيان فان المسألة مطروحة امام القضاء ، وهى فى الوقت نفسه محل مباحثات ودية بيننا وبين مصلحة الضرائب .

قرارات الجمعية العمومية العادية لمساهمى بنك مصر

المنعقدة بدار البنك فى يوم الاحد الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٤٩

قررت الجمعية العمومية بالاجماع ما يأتى :

أولا - التصديق على تقرير مجلس الادارة وعلى الميزانية والحسابات للسنة المنتهية فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ واخلاء طرف أعضاء مجلس الادارة من كل ما يتعلق بادارتهم فى السنة المذكورة

ثانيا ــ الموافقة على توزيع الارباح كاقتراح مجلس الادارة وصرف مبلغ خمسة وثمانين قرشا عن كل سهم ــ بدون استقطاع ضرائب ــ مقابل تقديم الكوبون رقم ٣٦ مصحوبا بالسهم الى بنك مصر او أحد فروعه ابتداء من يوم الثلاثاء الموافق ٥ ابريل سنة ١٩٤٩

ثالثا ــ اعادة اختيار حضرات أعضاء مجلس الادارة الذين انتهت مدة عضويتهم وهم أصحاب السعادة والعزة :

محمد محمود خليل بك

محمود شكرى باشا

على أمين يحيى باشا

رابعا ــ اعادة تعيين مكتب الخبراء ٠/٠ « هيوات وبريدسون ونيوبى » مراقبين للحسابات لسنة ١٩٤٩ وتفويض مجلس الادارة فى تحديد اتعابه

(١) وقد رد فعلا هذا المبلغ الى وزارة المالية بعد صدور قانون دعم البنك بأيام قليلة ــ وقد أخذ بعضه من الارباح الاستثنائية التى كانت قد استحقت على بعض شركات البنك وآلت اليه بمقتضى هذا القانون .